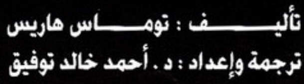
75 روايات عالمية للجيب

التنين الأحمر




تأليـــف : تومـــاس هاريس
ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق



يعـرف العـالم كله الكـاتب الشهير توماس هاريس ، بعد ما قدمت السينما قصته الأشهر (صـمت الحملان) . وهو من الكتاب الذين ابتكروا شخصية بالغة الشهرة عظيمة التأثير فى الثقافة الشعبية . إن شخصية الطبيب النفسى آكـل لحـوم البشر (هانيبال لكتر) لا يمكن نسيانها بسهولة ، فكيف إذا رأيناها كما جسدها أنتونى هوبكنز فى الفيلم الشهير ؟

ولد هاريس فى ولاية تنيسى الأمريكية عام **1940** . ولم تخل طفولته من المعاناة ككل العظماء فى الواقع . درس فى تكساس حيث تخصص فى اللغة الإنجليزية ، وعمل كصحفى لعدد من الصحف الطلابية وهو ما زال فى الجامعة .

فى العام **1975** قدم روايته (الأحد الأسود) وهى مزيج من الرعب والأكشن المتعلق بالإرهاب ، ثم قدم الرواية الحالية عام **1981** .. يمكن القول إنه قدم رباعية أكل لحوم البشر فى هذه القصة وقصص (صمت الحملان ـ **1988**) و(هانيبال ـ **1999**) و(صحوة هانيبال ـ **2006**) . يقال إن الجزء الذى

معك الآن هو أقوى الأجزاء طرًا . وبالطبع يمثل هانيبال لكتر الهيكل العظمى لكل هذه الروايات ..

ليس توماس هاريس مولعًا بالظهور الإعلامى ولا يجرى لقاءات صحفية أبدًا ، حتى إننى وجدت هذه المعلومات عنه بصعوبة بالغة ، وهو صديق عزيز لكاتب الرعب الأشهر ستيفن كنج .

د . أحمد خالد

الفصـــل الأول

مدينة (سان برنار دو كومنجـز) مدينـــة عتيقة عند تخوم جبال البرانس غير بعيدة عن تولوز . وكانت مقــر الأسقفية حتى الثورة الفرنســية ، وفيهــا كاتدرائية يزورهــا سـياح كثيرون . لن أطلق على المكــان اسـم مدينة لأن سكانها لم يتجاوزوا الألف .

جلس كرافورد على منضدة بين البيت والمحيط ، وقدم لجراهام كوبًا من الشاى المثلج . نظر كراوفورد للبيت القديم الجميل وقال :

ــ « كــان يجب أن أجـدك فى (ماراثــون) عنــدما غــادرت العمل » .

ــ « لا أريد مناقشــة هــذا هنـــا .. لكن لو أردت أن تتكلم فلا تعرض أى صور .. لو جلبت صورًا فاتركها فى الحقيبة .. مولى وويلى سيعودان حالاً »

ـ « ما قدر ما تعرفه ؟ »

قال جراهام :

ـ « أعرف ما كـان فى ميامى هيرالد وتايمز . قُتلت أسرتان فى داريهما والفارق شهر .. برمنجهام وأطلانطا . الظروف متشابهة » .

ـ « ليست متشابهة بل هى نفسها » .

ـ « كم اعترافًا حتى اللحظة ؟ »

ـ « الكثيـر .. لكن لا أحـد منهم يعـرف التفاصـيل .. مثلاً لا يعرفون أن السـفاح يهشم المرايا ويستعمل الأجزاء المهشمة »

ـ « وماذا أخفيت عن الأوراق أيضًا ؟ »

ـ « إنه أشقر .. يستعمل يده اليمنى .. قوى جدًا ويلبس قياس 11 فى الأحذية .. يمكنه عمل عقدة بحارة ولا يترك بصمات لأنه يلبس قفازًا .. لا يحب الأبواب بل يقطع الزجاج باستعمال ماسة وماصة .. فصيلة دمه AB »

ـ « هل هذا دمه ؟ »

ـ « لعابه .. إنه ممن يفرزون مجموعات الدم فى اللعاب .. »

نظر كراوفود للبحر وقال :

ـ « ويل .. أريد أن أسألك عن شىء .. أنت قرأت هذا فى الصحف ، والجريمة الثانية مشهورة فى التلفزيون .. فلم لم يخطر لك أن تتصل بى ؟.. جريمة برمنجهام لم تكن عنها معلومات كثيرة وفكرنا فى دوافع مثل الانتقام أو السرقة .. »

ـ « وبعد هذا عرفت » .

ـ « نعم .. عرفت أنه سايكوباث .. واعرف أنك عملت مع أفضل مختبر ممكن . هايمليخ فى هارفارد وبلوم فى جامعة شيكاغو » .

ـ « لا أعتقـد أننى سأفيدك يا جـاك .. فلم أعـد أفـكر فى الموضوع ثانية » .

ـ « ما يهمنا يا ويل هو طريقتك فى التفكير » .

ـ « هناك جدل كبيـر حـول طريقتى فى التفكير .. إن لديك ما تريد ومن تريد يا جاك .. أنا لن أضيف شيئًا لكم .. لقد جئت هنا لأفر من هذا كله » .

ــ « أعرف أنك جرحت آخر مرة .. لكنك تبدو لى الآن على ما يرام » .

ولاحظ كراوفورد أنه يسمع صوته ونبراته فى صوت جراهام .. هذه طريقة دائمة فى المناقشات مع جراهام إنه يتخذ صوتك وأسلوبك أثناء النقاش .. وفيما بعد أدرك كراوفورد أنه يفعل هذا دون قصد ..

أخرج كراوفورد من جيبه صورتين وألقاهما على المنضدة وقال :

ــ « كلهم موتى » .

نظر له جراهام بعض الوقت قبل أن يتناول الصورة . كانت كلها صورًا فوتوغرافية .. امرأة ثم ثلاثة أطفال ثم بطة .. هناك نزهة جوار بركة ..

بعد لحظة أزاح الصور جانبًا وقد رأى ابن زوجته قادمًا يتفحص شيئًا على الرمال ، ووقفت المرأة تراقب المشهد وطوحت شعرها المبتل على كتفها . شعر كراوفورد بالرضا ..

لقد أحسن اختيار مكان المحادثة .. بدأ يشعر أنه ظفر بجراهام أخيرًا .. فقط فلتنضج الأمور ببطء ..

سأل جراهام :

ــ « حياتك هنا جميلة .. كم عمر الصبى ؟ »

ــ « أحد عشر عامًا .. »

ــ « صبى وسيم . سيكون أطول منك » .

هبط طائران على المائدة وهما يبحثان عن الجيلي . راقبهما كراوفورد يتواثبان .

ــ « ويل .. هــذا المجنون يقتل حسب الدورة القمرية .. هذا يعطينا فرصة ثلاثة أسابيع قبل الضربة الجديدة لو كنا محظوظين .. ولسوف تكون فرصتنا افضل لو كنت معنا .. اذهب لأطلانطا وبرمنجهام وابحث .. ثم عد لواشنطن » .

لم يرد جراهام .

انتظر كراوفورد قليلاً ثم نهض ووضع معطفه على كتفيه ..

رفض دعوة للعشاء وقال :

ــ « قل لمولى إننى شاكر لها .. »

وانطلقت سيارته المستأجرة مبتعدة ناثرة الغبار على الشجيرات على جانبى الطريق ..

* * *

الغروب فى شوجارلوف .. طيور البلشون ما زالت تحلق ..

جلس ويل جراهام وزوجته مولى فوستر على لوح خشبى لوحته الشمس .. وقد صار وجهاهما برتقاليين بفعل الغروب . تناولت يده وقالت :

ــ « كراوفورد مر على فى المتجر قبل أن يقابلك .. حاولت الاتصال بك .. يجب أن تتعود أن تجيب على الهاتف من وقت لآخر .. »

ــ « عم سألك ؟ »

ــ « سألنى عنك فقلت إنك بخير لكن يجب تركك وشأنك .. ماذا يريد منك ؟ »

ــ « أنا مختص بالطب الشرعى يا مولى .. أنت رأيت شهاداتى » .

ــ « ورأيت أنك أصلحت ثقبًا فى السقف بهذه الشهادة .. لماذا لا يتركك وشأنك ؟ »

ــ « ألم يقل لك ؟ ,,, كان مشرفًا علىَّ فى المرتين اللتين تركت فيهما أكاديمية الـ FBI لأعمل فى حقل الجريمة . لم يـر من قبل حالتين مثل هاتين .. هذا النوع من السايكوباث نادر جدًا .. وهو يعرف أن لدى خبرة » .

كان قميصه مفتوحًا وكانت ترى بوضوح الندبة على بطنه . كان اتساعها إصبعًا وعالية .. تتسلق من عظمة الفخذ حتى أسفل ضلوعه ..



د. هانيبـال لكتـر هـو مـن فعـل هـذا بالسكين .. حدث هـذا قبـل عـام مـن لقـاء جراهـام مـع مـولي . كـان د. هانيبـال ـ الـذى تعـرفـه الصـحف باسـم (هانيبـال آكـل لحـوم البشر) ـ هو ثانى سايكوباث يقبض عليه جراهام فى حياته .

عندما غادر جراهام المستشفى استقال من مكتب الاستخبارات الفيدرالية وترك واشنطن ليعمل كميكانيكى ديزل فى ماراثون بفلوريدا كيز . كان ينـام فى مقطـورة فى فنـاء القوارب حتى ظهرت مولى .

راقب ثلاث بجعات تطير عبر المد ، وقال :

ـ « مولى .. السايكوباث الذكى .. خصوصًا السادى .. صعب أن يقبض عليـه لعـدة أسـباب : أولاً : لا يوجد دافع واضح لجرائمه .. ولن تكـون هناك معـونة مـن مخبرين .. عليك التمسك بأى دليل تجدينه وتستنبطين منه .. تحاولين إعادة تركيب تفكيره » .

ـ « أخاف أن يفعل بك كما فعل ذلك الأخير » .

ـ « لـن يعـرف اسـمى أبـدًا .. الشرطـة هى التى ستقبض عليه وليس أنا . كراوفورد يريد وجهـة نظـر أخـرى فقـط » .

راقبـت الشمس الحمـراء تنحـدر فى الأفق . كان جراهام يعشق الطـريقة التى تلـف بهـا رأسـها .. كـان يرى النبض فى عنقها ويتذكـر مـذاق المـلح على جلدهـا .. ابتلع ريقـه وقـال :

ـ « ماذا بوسعى أن أفعله بحق السماء ؟ » .

ـ « ما قررته أنت .. ابق معى هنا .. أنا .. أنا .. وويلى ... المكان هنا آمن وعذب .. كل ما حدث لك من قبل يجعلك تدرك هذا .. فلتعرف قيمة ذلك » .

هز رأسه فقالت :

ـ « لا أريد فقدان هذا » .

ـ « لن نفقـده .. »



هبط الظلام وظهر كوكب المشترى فى الجنوب الغربي . مشيا للبيت جوار القمر الأحدب الذى بدأ يرتفع . وتواثبت الأسماك فى أمواج المد .

* * *

عاد كراوفورد بعد العشاء . كان قد نزع معطفه وثنى كمى قميصه ليعطى شعورًا بالبساطة . شعرت مولى بأنه يبدو بساعديه المشعرين كقرد عملاق حكيم . قدمت له القهوة بينما كان جراهام وابنها يطعمان الكلاب .

قالت له :

ــ « إنه يتحسن .. لم يعد يحلم بالكوابيس فى كل ليلة ... أنت صديقه يا جاك فلماذا لا تتركه وشأنه ؟ »

ــ « لأن حظه السيئ أنه الأفضل .. ولأنه يفكر أفضل من باقى الناس » .

ــ « يظن أنك تريده أن يفحص الأدلة » .

ــ « أريد ذلك وأشياء أخرى .. الخيال .. الإسقاط ... » .

ــ « عـــدنى بشىء يا جـــاك .. تأكد مـــن أنه لن يقتـــرب كثيرًا ... سوف يموت لو دخل فى صراع » .

ــ « لن يصارع .. أؤكد هذا لك » .

عندما عاد جراهام من إطعام الكلاب ساعدته مولى فى حزم حقائبه .

* * *

الفصل الثانى

اندفعت سيارة جراهام عابرة البيـت الذى مات فيه آل ليدز . كانت النوافذ مظلمة .. أوقف سيارته بعد مربعين سكنيين ومشى فى الليل الدافئ ، حاملاً معه تقرير شرطة أطلنطا فى صندوق من الورق المقوى .

كـان جراهـام قـد صـمم على أن يـأتى وحـده . زاعمـا أن أى شخص آخـر معـه سـوف يشـتت اهتمـامه . لكـن السـبب الحقيقى هـو شكه فى الطريقـة التى سـيتصرف بهـا .. لا يريد مـن يحملق فيـه . كـان قـد أمضى الليـلة كلهـا فى المشرحة .

وقف يرمق البيت بعض الوقت وهو يحاول أن يتماسك من الداخل . كان بندول من فضة يتأرجح فى ذهنه وكان عليه أن ينتظر حتى يسكن البندول .

مر بعض الجيران ينظرون للبيت بسرعة .. إن البيت الذى يحدث فيه قتل يبدو قبيحًا للناس ، كأنه وجه شخص خانهم .

مشى حول المنزل ولم يستعمل الكشاف . شرطة أطلنطا تعلم أنه هنا لكن الجيران لا يعرفون . سوف يتسرعون ولربما يطلقون الرصاص . على الباب كان خاتم شرطة أطلنطا ..

نزع الخاتم ودخل . كان الممر حتى المطبخ مبطنًا بخشب البقم الذى وجد رجال الشرطة الزجاج عليه . كان يريد أن يضيء النور وتمنى لو يضع الشارة ويحدث ضوضاء يبرر بها للمنزل وجوده ، حيث مات خمسة أبرياء . لكنه لم يفعل هذا .. فقط دخل إلى المطبخ وجلس على المنضدة .

يشم رائحة الورنيش والتفاح . هنا بدأ جهاز التكييف يعمل فشعر بالرعب .. إنه خائف لكنه يستطيع الاستمرار برغم هذا .

لا يوجد شخص هنا يمكن الكلام معه .. لا شخص يضايقه .

الجنون زار هذا البيت عبر هذا الباب .. مشى هنا بحذاء قياس 11 .. كان يشم الجنون كما يشم الكلب البوليسى رائحة قميص .

كان قد قرأ تقرير الشرطة فى أطلنطا طيلة اليوم . كان الضوء فوق الموقد مضاء عندما جاء رجال الشرطة .. أضاءه من جديد . حسب خبير الباثولوجى تمت الوفاة بين 11 مساء و1 صباحًا .

لقد أزاح المجنون القفل على الباب الخارجى ووقف فى الظلمة وأخرج شيئًا من جيبه . قرص ماص على الأرجح أو ربما قاعدة مبراة مما يثبت إلى المكتب .

جاثيًا على ركبتيه حملق المجنون عبر الزجاج .. ألصق القرص بالزجاج بعد ما لعقه .. كانت هناك ماسة قاطعة للزجاج مثبتة بالقرص مما مكنه من قطع الزجاج على شكل دائرة . جذب الزجاج نحوه . لا يجب أن يسقط .. لا يبالى بكونه ترك لعابًا من فصيلة AB على الزجاج ..

مد يده ووجد القفل .. ينفتح الباب فى صمت .. إنه بالداخل . إن الهواء رطب وجميل داخل البيت .

مشى جراهام إلى غرفة النــوم .. يمكنـــه أن يرى من دون كشاف . هناك ساعة رقمية تعكس الوقت على السقف وهناك رائحة نحاسية قوية للدماء .

لابد أن المجنون رأى بعد ما اعتادت عيناه الظلمة مستر ريد وزوجته . عبر الغرفة إلى مستر ليدز وأمسك به وقطع حلقومه . ثم طلقة فى مس ليدز . أضاء النور فصرخت بقع الدم على الجدران فى وجهه . الهواء نفسه كان ملطخًا بالصرخات .

جلس جراهام على الأرض .. اثبت .. اثبت ..

لقد أصيب مخبرو أطلنطا بالدهشة . كل الضحايا قتلوا فى أسرتهم لكن بقع الدم كانت فى أماكن عديدة . فى البدء حسبوا أن تشارلز ليدز قتل فى غرفة ابنته ثم سحب القاتل جثته لغرفة الأب . لكنهم عدلوا عن هـــذا الرأى .. حركات القاتل لم تتضح إلا بعد المختبر الجنائي .

لكنه قتل الزوجين .. ثم ذهب لغرفة الأطفال . نهض مستر ليدز برغم حلقومه المقطوع وحاول حماية أطفاله ، ففقد الكثير من الدم . فى النهاية سقط ليموت فى غرفة ابنته .

أحد الصبيين قتل فى الفراش ... الآخر كان فى الفراش كذلك لكن هناك كريات غبار فى شعره . يعتقد رجال الشرطة أن القاتل جذبه من تحت الفراش قبل أن يطلق الرصاص عليه .

عندما ماتوا جميعًا بدأ تهشيم المرايا ..

مسز ليدز لم تمت بالطلقة بل ماتت بالخنق . زيادة كمية السيروتونين والهستامين فى الجرح أكد أنها عاشت بعد الرصاصة نحو خمس دقائق . الهستامين كان أعلى من السيروتونين مما يؤكد أنها لم تعش أكثر من خمس عشرة دقيقة . معظم إصاباتها التالية حدثت بعد الوفاة .

ماذا كان اللص يفعله طيلة هذا الوقت ؟.. إن قتل باقى الأسرة لم يستغرق أكثر من دقيقتين .. فماذا عن الوقت الباقى ؟

صعد للطابق العلوى وهو يحاول أن يربط بين الإصابات كما يعرفها وبقع الدم . على جدار غرفة النوم كانت ثلاث لطخات دم .. وكانت هناك ثلاث بقع على البساط . دخل الحمام وغسل وجهه وتناول قرصين للصداع .. لم يكن هنا شىء سوى المرايا المهشمة ومسحوق فحص البصمات الأحمر الذى يسمونه (دم التنين) .

كانت أضواء أطلنطا تسطع فى الليل ولا يمكن أن ترى النجوم إلا بصعوبة . فى (كيز) يمكنك أن ترى النجوم بوضوح مع مولى وويلي .

ارتجف واستنشق من جديد . لا يريد أن يفكر فى مولى الآن . أطفأ الأضواء التى كان قد أضاءها وغادر البيت من المطبخ . فى نهاية الممر رأى دراجة ومهد كلب من القش . كان هناك بيت كلب فى الفنـــاء الخلفى . كل الدلائل تؤكـــد أن آل ليدز هوجموا أثناء النوم .

كتب مذكرة قصيرة لنفسه:

ـ « جاك .. أين كان الكلب وقت الجريمة ؟ »

عاد جراهام للفندق . كان عليه أن يركز فى القيادة برغم أن الساعة الرابعة والنصف صباحًا . كان الصداع يقتله فراح يبحث عن صيدلية تقدم خدمة طيلة الليل ، ووجد واحدة فدخل ليبتاع بعض أقراص البافرين . كان يكره شباب الصيادلة فهم غالبًا متأنقون أكثر من اللازم ومن الواضح أنهم ليسوا لطيفين فى بيوتهم .

استقل الدرج الصاعد إلى غرفته وكان معه حمالا حقائب يضع كل منهما بطاقة باسمه مع عبارة (مرحبًا) .

ـ « هل تعرف لماذا للمرأة قدمان ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « حتى لا تترك خلفها مسارًا كالقوقعة » .

فى غرفته وضع جراهام الصندوق الورقى فى الخزانة ، ثم غير رأيه ووضعه فى درج بحيث لا يراه . لقد رأى ما يكفيه من الموتى متسعى العيون . أراد أن يطلب مولى لكن الوقت كان قد تأخر . كان مرهقًا وخالى الذهن تمامًا .. يجب أن ينام قبل

موعده فى قسم الشرطة صباحًا . أنار ضوء الحمام ثم عاد للفراش كى يقاوم الظلمة التى أطبقت حوله . وراحت عبارات من تقرير التشريح تدوى فى ذهنه :

ــ « البراز كـان مكتملاً .. بقايا بودرة (تلك) على القدم اليمنى .. كسر فى المحجـر نتيجـة غرس قطعـة مكسورة من مرآة » .

راح يحاول تذكر الجو والناس فى شوجار لوف كيز . مولى تحاول تعليمه الرقص فى الفناء الخلفى . فى النهاية غلبه النعاس . صحا بعد ساعة فرأى خيال الوسادة جواره .. كان هذا هو وجه مسز ليدز والدم يغطيه .. لم يستطع أن يبعد عينيه عنها . صحا وارتدى تى شيرت جافًا وتخلص من السابق الذى بلله العرق فى الحمام . لكنه لم يستطع أن يزحف لينام فى الناحية الجافة من الفراش .

راح يفكر بقوة فى الصيدلية التى ابتاع منها البوفرين .. السبب هو أن هذه هى الخبرة الوحيدة طيلة يومه التى لم تقترن بالموت . تذكر الصيدليات فى الزمن القديم عندما كانت هناك

نوافير صودا فى الصيدلية ، وكنت تذهب هناك وتنظر يمينًا ويسارًا فترى أشياء لا ينبغى لك أن تراها .

كان فى الأربعين وكان يشعر بذلك الحنين لما كان عليه العالم وقتها . الدمى التى اشتراها سموت ووضعها فى نافذة المتجـر . كانت تحملق بعيـون واسعة فى كل شخص يمر بالمكان .. دمى تحملق .. هذا جميل .. لقد بدأ جسده يرتخى وبدأ يهدأ ..

اعتصر جراهام الملاءة وراح يفكر ..

* * *

لماذا حركت الجثث ثانية ؟ لماذا لم تتركها فى هذا الوضع ؟

هناك، شىء لا تريد لى أن أعرفه .. شىء تخجل منه . هل أنت الذى فتح عيون الجثث ؟

مسز ليدز كانـت جميـلة .. أليس كذلـك ؟.. أنت أضـأت النور بعد ما ذبحـت مستر ليـدز حتى تراه زوجتـه وهـو يمـوت .. كان هناك مسحوق (تلك) على رجلها .. لا يوجد مسحوق (تلـك) فى الحمام .. كأن هناك من يردد هذا بصوت بارد .

أنت نزعت قفازك لتلمسها . أليس كذلك ؟؟ تساقط الـ (تلك) من القفاز .. أيها الوغد ..

اتصل بكراوفورد .. لم يندهش هذا الأخير من موعد المكالمة ، فسأله جراهام :

ــ « هل ما زال برايس يعمل مع ليتانت برنتس للبصمات ؟ »

ــ « نعم .. »

ــ « أعتقد أنه يجب أن يأتى لأطلنطا » .

ــ « لم ؟.. أنت قلت إن من يعملون هنا أكفاء » .

ــ « أكفاء لكن ليس بمستوى برايس » .

ــ « ماذا تريد منه أن يفعل ؟ »

ــ « أريد أن يفحص أظفار يدى وقدمى مسز ليدز .. إن الطلاء مصقول .. كذلك أريد فحص قرنيات عيونهم . أنا أعتقد أن السفاح نزع قفازيه لبعض الوقت يا جاك » .

ــ « رباه ! .. سيكون على برايس أن ينطلق كالرصاصة .. الجنازة موعدها عصر اليوم ! »

* * *



الفصل الثالث

كانت الســاعة السابعة والنصــف صباحًا . وناول كراوفورد جراهام زجاجة كوكا باردة من الآلة فى قيادة شرطة أطلنطا . وقال :

ــ « بالتــأكيد هــو نقــل جثــة مسز ليــدز .. كانت هناك علامــات يــد على معصــميها وخلف ركبتيهــا . لكــن كــل البصــمات ناجمــة عــن قفــاز بلا مســام . لا تقلق .. برايس الوغد هنــا وهــو فى طريقــه إلى بيت الجنــائز .. هل ظفرت بأى نوم ؟ »

ــ « ربما ساعة .. »

ــ « إن مختبــر أطلنطا يؤكد أن السفاح كان يلبس قفازًا جراحيًا طيلة الوقت .. قطع الزجاج فى الفم مغطاة بالدم .. لم ينزع القفازين قط . صدقنى » .

ــ « ما زلت أعتقد أنه نزع قفازيه ليلمسها .. لا يوجد أى شىء فى التقارير عن مسح البصمات عن أظفارها » .

ــ « تعال الآن نصعد .. القوات توشك على أن تتجمع » .

* * *

كان جيمى بروس يحمل أدوات كثيرة ، منها حقيبتان وكاميرا وحامل . كان داخلاً إلى بيت لومبارد للجنائز وكان مزاجه عكرًا بعد المشوار الذى قطعه من المطار فى سيارة الأجرة . استقبله لومبارد شخصيًا وأجلسه إلى منضدة ، حيث راح يتأمل أنامل تمثال اسمه (اليدان المصليتان) ... بينما راح لومبارد يفحص أوراقه بعناية عظيمة .

ــ « أنت تفهم يا مستر برايس أنهم نقلوا الجثث هنا فى الواحدة صباحًا فقط .. والجنازة ستكون فى الخامسة .. »

قال برايس:

ــ « لن أستغرق وقتًا .. أريد مساعدًا واحدًا على قدر من الذكاء لو عندك واحد .. هل لمست الجثث يا مستر لومبارد ؟ »

ــ « لا » .

ــ « فلتعرف من فعل هذا .. يجب أن آخذ بصمات الجميع » .

* * *

فى هذا الوقت كان رجال شرطة أطلنطا جالسين أمام صورة عملاقة لأسنان .. هذا هو القالب الذى صنعه الطبيب الشرعى (برينشى) لأسنان القاتل . وقد تم تشكيله بناء على عضة تركها القاتل فى إحدى الضحايا وقضمة لقطعة من الجبن فى الثلاجة .

تساءل أحد الضباط عن كيفية تحديد أن القاتل هو من قضم الجبن ، فقال الطبيب إن اللعاب فى موضع العضة هو نفس فصيلة دم القاتل . تساءل ضابط آخر عن سبب تأخر عمل هذه العينة ، ولماذا تم عملها فى واشنطن ؟

قال د . برينشى :

ـ « لأن العضة فى اللحم يتغير شكلها .. الجبن وسيط أسهل لرسم الأسنان لكنك تحتاج إلى نزع الرطوبة منه قبل عمل قالب . لهذا احتجنا لعون واشنطن لأن لديهم خبير أسنان شرعيًا .. »

قدم كراوفورد صديقه جراهام للجالسين وقال : إنه ذو خبرة سابقة .. هكذا طلبوا من جراهام أن يتقدم . شعر بحرج بالغ . لم يبد كمفتش لدى FBI بل بدا أقرب إلى عامل طلاء يلبس بذلة أنيقة ليحضر بها حفلاً .

قال :

ـ « هناك شيئان .. لا يمكن أن نفترض أنه مريض عقلى سابق .. الاحتمال عال أنه لا يملك أى صحيفة سوابق . ولو كانت لديه سوابق فعلى الأرجح هى تسلل أو دخول بيوت . أفضل معونة يمكن أن نحصل عليها ستكون من المهتمين برعاية الأطفال ومن العاملين فى الطوارئ . إن معلوماتهم عن العضات الشرسة ستكون مفيدة لنا .. لا يهم من عض من ولماذا .. فقط لابد من أن نعرف كل حادث من هذا النوع .. هذا السفاح يعض كثيرًا .. لقد عض مسز ليدز ست عضات بليغة » .

ـ « وكم متوسط العض فى الجرائم الجنسية ؟ »

ـ « ثلاث عضات فقط .. لكن هذا رجل مولع بالعض » .

قال أحد المخبرين :

ـ « هذا دليل واه جدًا » .

قال جراهام :

ـ « برغم هذا يستحق البحث .. وهذا كل ما لدى » .

وشعر بعضلات فخذيه تهتز من الوهن وهو يعود لمقعده .

قال كبير المفتشين :

ـ « سوف نواصل البحث ... وثمة نقطة مهمة .. سمعت بعض الرجال يطلقون على القاتل اسم (جنية الأسنان) .. أعرف أنكم لابد أن تسموه شيئا ولا يهمنى أى اسم تختارون ، لكن لا أريد أن يصل هــذا الاســم للصحافة فهو يوحى بالاستهتار .. مفهوم ؟ »

لما انصرف رجال الشرطة اختلى المفتش بجراهام فقال له :

ـ « أعترف أن ليس لدينا الكثير .. أنت الرجل الذى قبض على هانيبال لكتر من أعوام ... أليس كذلك ؟ »

قال جراهام :

ـ « كان هــذا مع شرطة ماريلاند . رجــال دورية ماريلاند قبضوا عليه » .

فكر المفتش قليلاً ثم عبث ببعض الأوراق وقال :

ـ « أنت سألت عن الكلب .. شرطى لدينا اتصل بأخى ليدز وعرف منه أن لدى الأسرة كلبًا وجدوه ميتًا .. هناك جرح نافذ فى بطنه . فكر الطبيب البيطرى فى أن الكلب أطلق عليه الرصاص لكنه لم يجد رصاصة .. ثم فكر فى أنه طعن بشىء كمخراز » .

ـ « هل كان الكلب يلبس ياقة عليها اسم ليدز ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « وهل آل جاكوبيس فى برمنجنهام عندهم كلب ؟ »

ـ « سنعرف هذا ... »

ثم اتصل ببرمنجهام سائلاً .. أصغى قليلاً ثم قال :

ـ « لا كلب .. هناك آثار قط لكنهم لم يجدوا قطًا » .

ـ « هل لك أن تتأكد من أنه لا توجد جثة قطة ؟.. أنت تعرف كيف تتصرف القطط .. تنزوى فى مكان بعيد وتموت .. الكلاب تعود للبيت لتموت فيه .. »

قال كراوفورد :

ـ « سنرسل لهم مسبر (ميثان) .. سيوفر عليهم الكثير من جهد الحفر » .

هنا اتصل بهم برايس من بيت الجنائز . قال لهم إنه حصل على أثرين من إبهام وجزء من الكف .

ــ « أريد أن أطبع هذه البصمات .. دعنى أركب الطائرة إلى واشنطن وسوف أرسل لك البصمات بالفاكس قبل عصر الغد » .

كان جهــاز الباحث جهــازًا جديدًا يستطيع البحث بين مئات البصمات ، وكانوا يعتمدون عليه كثيرًا .

قال كراوفورد لجراهام:

ــ « سوف نجده .. إن بصماته وقالب أسنانه تجعل الأمر سهلاً » .

قال جراهام :

ــ:بالتأكيد .. سنجده بطريقة أو بأخرى .. »

ــ « مثل ؟ »

ــ « مثــل أن نجـــد دليـــلاً لم نلحظـــه أولاً ... أو يحــدث هو ضوضاء أكثر من اللازم ذات ليلة فينهض له الزوج حاملاً بندقية .. جنية الأسنان هذا سوف يستمر ويستمر إلى أن نصير نحن أذكياء أو نصير محظوظين » . .

* * *

وعـــاد جراهام إلى الفندق ونام لساعتين ونصف الساعة . استيقظ عنـــد الظهر فاستحم وطلب شطيرة وقهـــوة . كان عليه أن يدرس ملفات قضية جاكوبى فى برمنجنهام . جلس جوار النافذة يطالع الملف . قرع الساقى الباب حاملاً الصينية .. قرع وانتظر . فى النهاية ترك الطعام على الأرض خارج الباب ووقع على الفاتورة بنفسه .

الفصل الرابع

أوقف هويت لويس قارئ العدادات فى شركة جورجيا للكهرباء شاحنته تحت شجرة عملاقة فى الزقاق وجلس يلتهم غداءه . لم يعد يستمتع بالغداء بعد ما صار يعده بنفسه .. لا مفاجآت أو مذكرات صغيرة .

دوى صوت عال جعله يقفز فى الهواء ..

ــ « أحسبنى استهلكت كهرباء بألف دولار هذا الشهر .. صح ؟ »

استدار لويس فرأى الوجه المحتقن لهـ . ج . بارسونز .. وكان يلبس شورت ويحمل مكنسة .

ــ « لا أفهم ما قلت .. أنا لا أعرف استهلاكك لأننى لم أقرأ عدادك بعد يا سيد .. »

كان بارسونز متعكر المزاج بسبب قيمة فواتيره وقد شكا للشركة من قبل . لكن لويس قال له فى عصبية :

ــ « اهدأ قليلاً .. أنت تضع مغناطيسًا فى عدادك . وجدته العام الماضى وتغاضيت عن ذلك لأن زوجتك قالت إنك فى المستشفى .. بعد هذا صببت فيه العسل لتعطله .. شىء ما فى هذا البيت يلتهم الكهرباء وأنت لا تطلب كهربائيًا ليعرف السبب بل تشكونى فى الشركة » .

ــ « هناك من يتابع مسار عملك ويقرأ العدادات التى تقرؤها .. سوف تضطر لأن تعمل حقًا قريبًا جدًا » .

كان وجه لويس قد صار شاحبًا من فرط الغضب . وركب شاحنته مبتعدًا .. الآن عليه أن يجد مكانًا آخر ينهى فيه غداءه .. هذه الشجرة كانت تناسبه وقت الغداء تمامًا .. كانت تقع مباشرة خلف بيت تشارلز ليدز ..

* * *



فى الخامسة والنصف مساء قاد سيارته الخاصة إلى استراحة (السحابة 9) . هناك كان يلعب مع رفاقه عندما قابل المشرف عليه فى العمل بيلى ميكس .

ــ « سوف أنازلك على زجاجة بيرة » .

قال له :

ــ « أريد الكلام معك يا بيلى .. هـذا الوغد المدعو بارسونز الـذى يتصـل بكم طيلـة الوقت .. يقول : إن هناك مـن يتـابع مسـار عملى ويقرأ العدادات التى أقرؤهـا .. أنـت لا تعتقـد أننى أقـوم بتأليف قراءات العدادات وأنا فى بيتى . أليس كذلك ؟ »

ــ « نعم » .

ــ « حسن .. لو أننى فى قائمة قاذورات أحدهم فأنا أريد أن يأتى ويواجهنى .. »

ــ « لو كنت أنت فى قائمة قاذوراتى فلن أخشى أن أواجهك .. لو كان هناك من يقتفى أثرك فلسوف أعرف ذلك . لا تأخذ بكلام بارسونز هذا فهو عجوز مخرف » .

ــ « ما يحتاج له هو علقة طيبة على مؤخرته » .

قال بيلي:

ــ « كنـت أعمـل فى هـذه المنطقـة عندما كنت قارئ عـداد . بـل إننى رأيـت مسـز ليـدز .. أعـرف أنه ليس مـن المناسب الكلام عنها وقد ماتت ، لكنى كنت أراها بالمايوه تأخـذ حمام شمس . كانت امرأة جميلة وما حدث لهذه الأسرة عـار » .

ــ « هل قبضوا على أحد ؟ »

ــ « لا » .

ــ « يؤسفنى أن السفاح قتل ليدز بينما كان بارسونز على أتم استعداد لأن يمـوت عبـر الشـارع .. لكن ما يضايقنى هو أن



بارسونز بالتأكيد رأى من يقرأ عداده .. أنت تقول إنك لم ترسل أحدًا ليراقب عملي .. »

ـ « هل ترى أن أبلغ الشرطة أن هناك من يقرأ العدادات وهو ليس موظفًا لدينا ؟ »

ـ « نعم .. هذا سوف يفيد بارسونز .. أن يتكلم مع ممثلى القانون .. سوف يموت من الرعب عندما يصل له رجال الشرطة .. ألا ترى هذا ؟ »

الفصـل الخـامس

بعـد العصـر عـادَ جراهـام لبيـت آل ليـدز .. دخـل من الباب الأمامى وحاول ألا ينظر للخراب الـذى تركـه القـاتل . كان يعـرف جيدًا كيف ماتوا .. المشـكلة هى أن يعرف اليوم كيف عاشوا .

فى المرآب كان هناك قارب تزلج ومضارب جولف ودراجة .. وكانت هناك أدوات كهربية عدة . هكذا راح جراهام يبحث فى البيت عن لمسات تشارلز ليدز . مجموعة كتبه المصفوفة فى المكتبة .. كاميـرا نيكون ممتـازة .. كتاب لفورستر .. جهاز عرض ..

لم يكن جراهام قد امتلك أى شىء سوى أدوات صيد وسيارة فولكس عتيقة وقد بدأ يشعر بشىء من غيرة ويتساءل : من كان ليدز ؟.. محامى ضرائب بارع ؟.. لاعب كرة قدم فى الجامعة ؟.. أم هو الرجل الذى يستمر فى القتال برغم أن حلقومه مقطوع ؟ يجب أن يعرف الرجل قبل أن يعرف زوجته .. كان يشعر أنها هى التى جذبت السفاح .. مثلما يجذب صرصار الغيط الموت من ذبابة حمراء العين .

كانت لمسز ليدز غرفة ثياب صغيرة بالطابق العلوي . دخلها جراهام فلم ير شيئًا غريبًا سوى المرآة المحطمة فوق منضدة التسريحة . كل شيء عليه رماد تبغ المخبرين ..

كان الضوء يخبو لكنه راح يطالع مفكرة صغيرة تدون فيها خواطرها .

دوى جرس الهاتف . ثم صوت (كليك) وبدأ جهاز رد على المكالمات يعمل .. مرحبًا .. أنا فاليرى ليدز .. لا أستطيع القدوم للهاتف الآن .. لو أردت أن تترك اسمك ورقم هاتفك سوف أتصل بك .. شكرًا ..

توقع أن يسمع صوت كراوفورد بعد الصفارة ، لكن لم يسمع سوى صوت الحرارة . لقد سمع صوتها .. الآن يريد أن يراها ..

* * *

فى جيبه كان هنـــاك فيلم مـــن قياس 8 ملم التقطه ليدز ولم يحمضه قط .. وجد رجال الشرطة الإيصـــال فى جيبـــه فأرسلوا

يجلبـــون الفيلم ليـــروا آخـــر لقطات لحياة الرجل الشخصية . أخـــرج جهاز العرض السينمائى وجلس يشـــاهده على مقعـــد تشـــارلز ليـــدز الكبيـــر . شعر تحـــت كوعـــه بشيء لـــزج .. هنا اكتشف انهـــا بصـــمات طفـــل ترك قطعـــة من الحلوى على مسند المقعد .

كان الفيلم أذكى وأظرف من معظم أفلام الهواة المنزلية .. هناك كلب يقبع وينظر للكاميرا ثم ينام .. ثم يصحو وينبح ويجرى نحو المطبخ . ثم ظهرت مسز ليدز تضحك وظهر الأطفال .. الفتاة فى السادسة والصبيان فى الثامنة والعاشرة .. وعض جراهام شفته السفلى ...

لقطات للطفلة فى حمام من الفقاقيع .. يبدو أن أخاها يصورها على سبيل المقلب .. تصرخ وتغطى صدرها الصغير .. لقطة لتشارلز ليدز يجلس على ذات المقعد ويغط فى نومه . وانتهى الفيلم .. راح جراهام يرمق الشاشة . لقد أحب آل ليدز فعلاً ... لا شك أن المجنون أحبهم أيضًا ... لكنه أحبهم بطريقة مختلفة بعض الشيء ..

فى الفندق ظل جراهام يسبح فى مياه الحمام حتى شعر بأن عقله غبى وخاو ، وأن قدميه صارتا من مطاط .

غادر الحمام فاتصل بزوجته .. اطمأن عليها ثم طلب قيادة الشرطة حيث كان سبرنجفيلد ، فقال إنه راغب فى المساعدة فى التحقيقات غدًا .. لم يكن هناك شىء آخر يقوم به ، وساعده احتساء الجين على النوم .

الفصل السادس

كانت هناك نسخ مذكرات على مكتب سبرنجفيلد تتضمن كل المكالمات التى تتعلق بقضية ليدز . صباح الثلاثاء وهو يصل للمكتب كانت هناك 63 قصاصة .. القصاصة على السطح تقول : إن شرطة برمنجهام وجدت قطة مدفونة فى صندوق أحذية خلف مرآب آل جاكوبيس . القطة كانت ملفوفة فى منشفة أطباق وبين مخالبها زهرة . وعلى غطاء الصندوق كان اسم القطة بخط طفولي . الطبيب الشرعى قال : إن القطة مخنوقة .. لا طعنات .

لم يحتاجوا لمسبار ميثان .. كان جراهام على حق ..

أما معظم المكالمات فلم تكن ذات جدوى .. مجرد ملاحظات لسيارات غريبة فى الجوار قبل الجريمة . وبين هذه المكالمات كانت شكوى قارئ العدادات هويت لويس . طلب من المخبر أن يتحقق من هذه الشكوى ، ثم اتصل بجراهام وقال له :

ـ « قابلنى أمام الفندق بعد عشر دقائق .. سوف نقوم برحلة صغيرة » .

بعد مرور خمسة أيام فقـط بدأت علامات الإهمال تظهر على حديقة آل ليدز ومسكنهم . أبصال برية ظهـرت فـوق العشب وامتلأت الحديقة بأغصان ساقطة . بدا البيت نائمًا .. وكان الجار بارسونز قد نهض مبكرًا وراح يعمل فى حوض أزهار بالفناء الخلفى على بعد بيتين ..

أخرج سبرنجفلد مترًا من قماش ليقيس ارتفاع عداد النور لدى بارسونز . كان قد عرف أن بارسونز ينال راتب تقاعد شهريًا لأن رئيسه السابق فى العمل قال إنه (شارد الذهن باستمرار) ، قال الجيران كذلك أن ابنه لا يزوره أبدًا وأن زوجته تقيم معظم الوقت مع أختها .

سأله سبرنجفيلد:

ـ « هل لنا أن نوجه لك بعض الأسئلة يا مستر بارسونز ؟ »

ولاحظ أن وجه الرجل محتقن تمامًا .. قال لنفسه : إن الرجل يعانى تصلب شرايين بالتأكيد .

ـ « هل أنت من شرطة الكهرباء ؟ »

ـ « لا .. أنا بادى سبرنجفيلد من قوة الشرطة .. »

ـ « إذن الأمر يتعلق بالقتل .. كنت وزوجتى فى (ميكون) وقتها » .

ـ « السؤال عن عداد الكهرباء الخاص بك .. هل رأيت غريبًا يقرؤه الأسبوع الماضى ؟ »

ـ « لم يكن غريبًا .. كان من شركة كهرباء جورجيا » .

ـ « كيف عرفت ؟ »

ـ « بدا لى كقارئ عداد .. يلبس مثلهم جميعًا . رأيته من نافذة المطبخ فما أن درت حتى أحضر الروب حتى كان قد اختفى .. لماذا تهتم بهذا ؟ »

ـ « نحن نتحقق من كل من ظهر فى الجيرة الأسبوع الماضى .. يجب أن تتذكر .. »

ـ « هذه منطقة خطرة .. أمس مر ربع ساعة كامل دون أن تمر سيارة شرطة . كان هناك بعض الزنوج ينظرون للبيت .. كان آل ليدز ممتازين وبرغم أن أطفالهم كانوا أشقياء فلا مشكلة عندى بصددهم » .



قال سبرنجفيلد :

ــ « هل تسمح لنا بدخول المطبخ ؟.. نريد أن نرى المشهد كما رأيته أنت » .

طلب الرجل منهما هويتيهما ثم سمح لهما بالدخول . وفى المطبخ كانت النافذة فوق الحوض تعطى رؤية ممتازة للفناء الخلفي . وقال بارسونز نافد الصبر:

ــ « مـــن هنـــا .. يمكنك أن ترى كل شيء بوضوح لكنى لم أتبين وجه الرجل ولا أذكر شيئًا عنه .. والآن لو سمحتما لى فأنا مشغول » .

للمرة الأولى تكلم جراهام فقال :

ــ « قلت يا مستر بارسونز إنك ذهبت لتحضر الروب .. معنى هذا أنك لم تكن تلبس ثيابك وكان الوقت عصرًا .. فلماذا لا تلبس ثيابك وقت العصر ؟ »

قال بارسونز :

ــ « هذا بيتى يا سيد .. وما أفعله فى بيتى يخصنى حتى لو لبست ثياب كانجارو . لماذا لا تبحث عن القاتل بدلاً من تضييع وقتك ؟ »

قال جراهام :

ــ « كنت بدون ثياب وبرغم هذا وقفت خلف نافذة المطبخ فلماذا ؟ »

ــ « كنت آخذ حمامًا ثم جئت لأشرب كوبًا من الشاى المثلج » .

ــ « غريب هذا .. إن الثلاجة هناك فى الناحية الأخرى من المطبخ .. »

قال سبرنجفيلد :

ــ « أعتقد أنه رأى هويت لويس قارئ العدادات » .

قال العجوز فى إصرار :

ــ « لا لم يكن هـــو .. الرجل الذى رأيته كان نحيلاً أشقر الشعر ولربما كان له شارب .. »

ــ « مثل هويت لويس ؟ »

ــ « لويس ليس له شارب .. »

غادر رجلا الشرطة المكان .. بينما بارسونز يرافقهما محتقن الوجه مبتل العينين . وظل يراقبهما وهو يدس يديه فى جيب

الشورت ، ثم أمسك بالشوكة وراح يبعثر الأعشاب فى عصبية حتى اختفيا .

* * *

قال جراهام فى طريق العودة :

ــ « لو كان قارئ العداد المزيف هذا رجلنا فنحن محظوظون » .

قال سبرينجفلد:

ــ « فعلاً .. بالتالى هو ليس مجرد شخص مر بالحافلة وتوقف ليقتل ثم ركبها راحلاً .. هذا رجل لديه خطة وقد جاء هنا فترة وراقب . يراقب المكان .. يقتل الكلب .. هذا رجل من عالمك . أليس كذلك ؟.. أعرف خبراتك مع لكتر برغم أننى أكره سؤالك عنه ... إن هانيبال لكتر قتل تسعة أشخاص .. أليس كذلك ؟ »

ــ « تسعة هم من نعرفهم .. نجا اثنان .. »

ــ « وماذا حدث لهما ؟؟ » .

ــ « واحد على جهاز التنفس الصناعى فى بالتيمور .. الآخر فى مستشفى أمراض عقلية فى دنفر » .

ــ « لماذا فعل ذلك ؟.. لماذا جن ؟ »

نظر جراهام من نافذة السيارة وقال :

ــ « فعل ذلك لأنه يحبه .. لكن د. لكتر ليس مجنونًا بطريقة فهمنـــا للمجانين .. يطلقـــون عليـــه مصطلح سايكوباث لأنهم لا يعرفون بما ينادونه غير ذلـــك .. وكان يتمتع بسادية عنيفة ضد الحيوانات فى طفولته .. كل شىء طبيعى فيما يتعلق بتاريخه الإجرامى ... لا سوابق .. رسم المخ يظهر موجات عابرة لكنها غير ذات بال .. »

ــ « بينى وبينك .. ماذا تطلق عليه ؟ »

ــ « أعتبره وحشًا .. وما كان ليقع فى يدنا لولا أنه قتل ضحيته السادسة فى ورشة .. وجدنا ندوبًا لجرح قديم فى فخذ الضحية ، تعرف على هذه الندوب جراح فى بالتيمور .. ثم عرفنا أن القتيل كان يعالج لدى طبيب نفسى اسمه (هانيبال لكتر) وقد ذهبت لزيارته بشكل عارض ، لا أعرف السبب لكنى شعرت بحاجتى لتكرار الزيارة .. زرته فى عيادته من جديد وكان هناك مريضان فى قاعـــة الانتظار . رحت أحملق فى مجموعة من الكتب القديمة فوق رأسه ، بينما هو يحاول فى أدب أن يقدم لى

العون . عرفت أنه هو .. وعرف هو أننى عرفت .. غمغمت بشىء ما ونهضت .. كان هناك هاتف عند مدخل العيادة فرفعت السماعة أطلب الشرطة ، ولم أرد أن ألفت نظره قبل قدوم مساعدة .. زحف من خلفى لابسًا جوربيه فقط فلم أسمعه .. وانقض على .. وباقى القصة معروف » .

ــ « ماذا لفت نظرك فى مكتبه ؟ »

ــ « تذكرت هذا فى المستشفى .. إنها صورة اسمها (رجل الجراح) كانوا يوضحون عليها الجروح المختلفة التى يمكن أن تحدث فى الحرب .. كلها على جسد رجل واحد . كان هناك كتاب طبى قديم يظهر هذه الصورة ، وتذكرت أن الضحية السادسة كانت فى وضع قريب جدًا من رجل الجراح هذا » .

ــ « هذا كل ما لديك ؟ »

ــ « مصادفة قوية ... حظ غريب .. »

ــ « أشكرك لأنك أخبرتنى .. أريد أن أعرف أشياء كهذه » .

* * *

الآن صار رجال الشرطة يعرفون أن القاتل يراقب البيوت متنكرًا بثياب قارئ عدادات ، ويعرفون أنه يقتل الحيوانات الأليفة لدى الأسرة . معلومات مهمة وقد يفيد أن يعلنوها ليتخذ الناس حذرهم .. لكن المشكلة إن القاتل قد يكون يتابع الأخبار كذلك .. وقد يغير أساليبه . هذا سؤال أخلاقى مهم .

وكان جراهام يفكر طيلة الوقت فى هذه القضية .. فى النهاية قال بصوت عال لمن حوله :

ــ « يجب أن أرى لكتر ! »



الفصل السابع

خــرج د. فردريك شـيلتون رئيس الأطبـاء فى مستشفى المجانيــن الإجراميين بشيسابيك ، ليصــافح يد ويل جراهام . وقال ضــاحكًا :

ــ « أحيانًا أشعر بأننى سكرتير لكتر أكثر مما أنا حارسه .. بريده وحده مشكلة .. يخيل لى أن كل من يدرس الطب النفسى يريد أن يراسل هانيبال .. وقد رأيت خطاباته موضوعة فى إطارات فى عيادات الطب النفسي . فهمت أنك تريد الحديث مع د. لكتر ... كقاعدة نتفق عليها سيبقى هو فى غرفته .. أحد جدران غرفته حاجز ثنائى يسمح لك بأن تجلس وتحاوره .. لن تمرر له أى أوراق أو أقلام أو أى شىء فيه دبابيس . لو أردت أن تعرض عليه صورًا فلتمررها من صينية الطعام تحت الباب . عندما جئت هنا حاولت أن أتعقل .. قللت الحراسة من حوله ، وفى ذات يوم عام 1976 شعر بألم فى صدره .. قمنا بفك قيوده لنتمكن من عمل تخطيط قلب له .. الممرضة كانت قوية وسريعة فعلاً ، وقد استطاعت إنقاذ إحدى عينيها .. »

ثم مد يده إلى تخطيط القلب وتابعه باصبعه :

ــ « هذا مهم .. هنا هو راقد على فراش الكشف .. نبضه 72 .. نهض وأمسك بالممرضة .. انقض عليه الممرض وخلع كتفه .. هل ترى ؟.. لم يتسارع نبضه قط عن 78 .. حتى عندما أكل لسان الممرضة . إن لكتر مثقف ولديه درجة فى علم النفس .. ثم هو سفاح كذلك . فرصتنا الرائعة لدراسة السايكوباث .. لكن دعنى أؤكد لك أننا لا نعرف عنه أكثر مما كنا يوم دخل المستشفى .. هذا رجل غير قابل للاختراق .. وقد قدم بعض الأبحاث المهمة لمجلة الطب النفسى الأمريكية . برغم هذا يعتقد كثيرون هنا أنك أفضل من يعرف أى شىء عن لكتر » .

قال جراهام فى عدوانية وهو ينهض :

ــ « د. شيلتون .. أفضل أن أرى هانيبال الآن » .

* * *

انغلق الباب الحديدى الذى يغلق أكثر القطاعات تأمينًا خلف جراهام . كان يعرف أن لكتر ينام أغلب النهار . لم يكن من هنا قادرًا على رؤية زنزانة لكتر . كان يريد أن يرى لكتر نائمًا .. يريد وقتًا يتمالك فيه نفسه ..

كانت هناك قضبان حديدية تغطى مقدمة الزنزانة بالكامل ، وخلفها شبكة من النايلون تمتد من السقف للأرض . واستطاع أن يرى منضدة وكرسيًا مثبتين للأرض .. دنا من القضبان ووضع يديه عليها .

كان د. هانيبال لكتر نائمًا فى فراشه ورأسه على وسادة . وعلى صدره كتاب ألكسندر دوما (قاموس الطهى الأعظم) . فتح لكتر عينيه وقال :

ـ « نفس عطر ما بعد الحلاقة الكريه الذى كنت تضعه فى المحكمة » .

شعر جراهام بكل شعرة تنتصب فى مؤخر عنقه . كان لكتر رجلاً أنيقًا صغير الحجم ، وقد قال :

ـ « الكريسماس .. هل وصلتك بطاقتى ؟ »

ـ « نعم .. شكرًا لك » .

لقد تلقى البطاقة وأخذها للفناء الخلفى فأحرقها ثم غسل يديه قبل أن يلمس مولى .

ـ « اجلس يا ويل .. كيف حال الضابط ستيوارت ؟ »

كـان ستيوارت قد استقال بعـد ما رأى قبـو د. هانيبال .. وافتتح فندقًا . لم يخبره جراهام بهذا لأن ستيوارت لن يرحب بأى رسائل من لكتر . قال جراهام :

ـ « رأيت مقالتك عـن إدمـان الجراحـة فى مجلة الطـب النفسى .. »

ـ « ما رأيك فيها ؟ »

ـ « مفيدة جدًا .. حتى للرجل الجاهل مثلي » .

ـ « رجل جاهل . رجل جاهل .. مصطلح مثير .. تقول إنك رجل جاهل .. لكنك من قبض على . أليس كذلك ؟.. هل تعرف كيف فعلت ذلك ؟.. »

ـ « لا يهم هذا الآن .. فقط أريد عونك يا د. لكتر » .

ـ « خطر لى هذا .. »

ـ « موضوع جرائم أطلنطا وبرمنجهام .. أنت قرأت عنها طبعًا » .

— « أنا أقرأ الصحف لكن لا أستطيع قص مقالات منها .. لا يسمحون لى بمقصات .. أنت تريد أن تعرف كيف يختار (الحاج) ضحاياه .. أليس كذلك ؟ »

لم يكن لكتر يقيم رأسه أبدًا ، بل يميل به للجانب دائمًا .. كأنه يولج مثقاب فضول فى وجهك .

— « هل معك الملف ؟.. وهل معك الصور ؟ »

اضطر جراهام لوضع الملف فى الصينية ليراه د . لكتر.. طلب منه الأخير أن يمهله ساعة للقراءة ، فقضاها فى الاستراحة . عندما عاد جراهام إلى الزنزانة قال له هانيبال :

— « هذا فتى خجول .. كم أحب أن ألقاه .. ألم يخطر لك أنه مشوه أو يعتقد أنه مشوه ؟ »

— « المرايا » .

— « بالفعل . إنه يهشمها جميعًا .. دعنى أحتفظ بالملف يا ويل .. سوف أدرسه . والآن هل تعرف كيف ظفرت بى يا ويل ؟ »

— « وداعًا د . لكتر .. لو أردت أن تخبرنى بشىء فاطلب الرقم الموجود على الملف » .

وإذ انغلق الباب من خلفه سمع صوت هانيبال يقول :

— « أنت ظفرت بى لأننا متشابهان » .

مشى جراهام شاعرًا بتنميل فى عقله .. خمسة طوابق فقط تفصل هانيبال عن العالم الخارجى ؟.. شعور مزعج داهمه أن هانيبال يمشى معه ، واضطر للتوقف لحظة ليتأكد من أن هذا غير صحيح .

الفصل الثامن

على بعد 700 ميل للجنوب الغربى فى معمل أفلام جيتواى بسانت لويس ، جلس فرانسيس دولارهايد ينتظر شطيرة هامبورجر . هناك فى خزانة التحميض كانت آلاف الأمتار من الأفلام القادمة من أرجاء البلاد .. إن درجة الرطوبة ودرجة الحرارة مهمتان جدًا . إن هذه مسئوليته إلى أن يمر الفيلم بالمجفف .

عاد للبيت فى العاشرة مساء . كان يعيش فى بيت كبير تركه له جداه . هناك كانت أشجار تفاح لم تلق عناية كافية من مالكها ، والآن فى آخر يوليو كانت رائحة التفاح الفاسد تزكم أنفه . وكان أقرب جار على بعد نصف ميل .

كان يقوم بجولة استكشافية فى البيت فى كل مرة يدخله فيها . أضاء النور فى كل الغرف .. كانت هناك محاولة سرقة منذ أعوام . ماتت جدته منذ عشرة أعوام لكن ما زالت فرشاة شعرها وقد التصق بها بعض الشعر ، وما زال طاقم أسنانها فى كوب

تبخر ما فيه من ماء . أخذ حمامًا ونظف أسنانه ثم رقد فى غرفة نومه منذ كان طفلاً .. وشعر بالرغبة تستبد به . راح يتأمل لوحة على الجدار عند قدم الفراش . كانت تمثل تنين وليام بليك الأحمر مع المرأة التى تغطيها الشمس . كانت الصورة قد أثارت ذهوله عندما رآها أول مرة .. لم يخطر له قط أن هناك لوحة تمثل خيالاته بهذه الدقة ... لابد أن بليك نظر فى أذنه فرأى التنين الأحمر . لأسابيع ظل يخشى أن تبرز أفكاره من أذنيه أو تتوهج فى الظلام أو تتلف الأفلام لذا سدهما بالقطن ، ثم خشى أن يشتعل القطن؛ لذا قطع كريات صغيرة من الأسبستوس من لوح كى واستعملها لأذنيه .

قام بتشغيل جهاز العرض بعد ما أغلق النافذة جيدًا .. على الشاشة ظهر الكلب السكوتلندى الصغير ينبح . ثم ظهرت مسز ليدز داخلة المطبخ تحمل البقالة .. ضحكت ولمست شعرها .. ثم ظهر الأطفال ..

ثم ظهرت لقطة لدولارهايد فى غرفة نومه سيئة الإضاءة .. كان يقف عارى الجذع أمام لوحة التنين الأحمر مع المرأة التى تغطيها الشمس .. يدنو من الكاميرا ويغير البؤرة ليظهر وجهه

أفضل .. تظهر شفته العليا المقلوبة المشوهة ولسانه يبرز من بين شفتيه .. يبتلع العدسة بفمه .

ثم تأتى لقطات جديدة على حامل ثلاثى .. كلهم موتى الآن .. الأطفال على الأرض ومستر ومسز ليدز على الفراش . دخل دولارهايد الكادر من اليسار فى رشاقة كأنه راقص باليه ، وقد غطاه الدم تمامًا .

الآن يشـاهد دولارهايد هــذه اللقطات فى بيـت جديه وقـد غمره العـرق ، وراح يبلل بلسـانه شـفته العليـا المشوهة . هنـاك عيبان فقــط فى الفيلم : أن القتل لا يظهر أبدًا .. وأن تمثيله قـرب النهـاية صار سيئًا . على كل حال ما زالت هناك أفلام قادمة ..

هذا عمل عمره .. عمل مذهل .. سوف يعيش للأبد ..

المهم أن يستمر وأن يجد ممثلين جددًا .. إن عيد الشكر قادم وسوف يعنى هذا المزيد من الأفلام للتحميض ..

إن العائلات ترسل له طلباتها طيلة الوقت !!

الفصــل التــاسع

راح جراهام يفتش بيت جاكوبي . كان قد سافر إلى واشنطن وحصل على المفتاح من سمسار العقارات . ترى هل لو جاء هنا مباشرة بعد جريمة القتل لظل آل ليدز أحياء ؟.. حاول أن يجيب عن هذا السؤال .

عندما خرج من المنزل كان غارقًا فى هذا الهاجس .. وقف تحت الشمس ويداه فى جيبيه وظهره منحن . كيف جاءت جنية الأسنان لبيت جاكوبى ؟.. أين أوقف السيارة ؟.. الحصى على الأرض سيحدث صخبًا لا يناسب زيارة ليلية . دعك من أى سيارة غريبة هنا كانت ستلفت نظر رجال الدورية .

ربما كان الرجل متواريًا فى أحد الخنادق ؟.. لا .. لقد هطل المطر قبل الجريمة بيوم وامتلأت الخنادق بالماء .

هناك منخفض فى الأرض حيث دفن أطفال جاكوبى قطتهم .. لفوها فى منشفة ووضعوها فى صندوق أحذية .. جنازة حيوان ..

مــن تقاليــد الطفولة .. الأبـــوان ينسحبان للبيت فى خجل حتى لا يبدوا تافهين .. الأطفال فى الخارج يصلون للقطة الميتة ، ويتساءلون إن كانت فى السماء أم لا .

القاتل لم يأت مرتين .. مرة ليقتل القط ثم ينتظر حتى يدفنها الأطفال ، ثم مرة ليقتل الأطفال .. لابد أنه جاء وقتل القط وتوارى يراقب ..

راح يفتش فى الدغل حول البيت حتى وجد بقعة يمكن منها أن يرى قمـة البيـت ، خاصة لو تسـلق على شجرة هناك واستعمل نظارة مقربة .. لابد أن جنية الأسنان فعلت هذا . لقد قتل القط ظهرًا .. كان من العسير أن يدفنـه الأطفـال ليلاً .. لابد أنهم فعلوا هذا صباحًا ، فهل انتظر القاتل ليلة كاملة فى هذه الأحراش ؟..

لم يكن رجال شرطة برمنجهام أغبياء .. لقد وجد جراهام آثارهم وآثار بحثهم من حوله ، وهذا يعنى أنهم كانوا يملكون شكوكهم الخاصة ..

على الأرض وجد سدادة معدنية من التى تسد علب المياه الغازية . وعندما تسلق الشجرة وجد علبة مياه غازية معدنية مستقرة هناك على الغصن .. همس :

ـ « أحب هذا !... رباه .. تعالى يا علبة ! »

برغم هذا ظل من الوارد أن يكون طفل هو الذى تركها هنا .

استطاع كذلك أن يرى رقم 6 محفورًا بعناية فى لحاء الشجرة ..

رقم 6 تمت كتابته بعناية ودقة بسكين . لم يكن هذا عمل طفل . التقط صورة للحاء والتقط صورة للمنزل من هذا المكان .. لاحظ أن هناك غصن شجرة فوق رأسه قد تمت إزالة الأوراق عنه لتكون الرؤية أشمل وأوضح .

أعتقد أنك قتلت القط وألقيته على الأرض يا صديقي ، ثم تسلقت هنا وانتظرت . أعتقد أنك أمضيت الوقت تراقب الصبية . عندما جاء الليل رأيت الأضواء تنطفئ .. من ثم نزلت وذهبت لهم . أليس كذلك ؟

فى الوقت ذاته . إن جراهام لا يعمل مع الــ FBI بالضبط لكنه خبير فى الطب الشرعى يستعينون به كثيرًا ، ومن المهم أن نذكر أنه دخل المصحة بدوره ثلاث سنوات بعد ما أطلق الرصاص على سفاح تسلسلي . وقد طلب التقاعد المبكر لكن تم استدعاؤه للتحقيق فى هذه الجرائم الجديدة .

راح دولارهايد يمرر إصبعه بشدة على الصورة المنشورة مع المقال .. كان يشعر بحبر الطباعة بحساسية غير عادية .. ثم لعق إصبعه بلسانه وقطع الورقة ودسها فى جيبه .

كان يتمنى لو قابل الدكتور ... فقــط الدكتـــور لكتر سيفهمه وسيفهم تحوله .. سيفهم أنه يتحمل الصراخ والألم من أجل التحول كما يتحمل النحات الغبار من أجل صنع التمثال .. سوف يراه لكتر وهو يموت ويتحول إلى تنين أحمر كما فى قصيدة بليك .

هكذا جلب ورق التواليت وجلس يكتب خطابًا للكتر ويوقعه باسم (المعجب الشديد) .. ثم بعد كتابة الخطاب يعض الورق كعلامة صارت هى توقيعه المميز .

* * *

كان كراوفورد فى قيادة الــ FBI فى واشنطن يجرى مكالمة هاتفية مع جراهام ، عندما دخل السكرتير الغرفة وقال له :

ــ « د. شيلتون فى مستشفى شيسشابيك .. يقــول إن الأمر عاجل ».

أمسك بالسماعة ليرد فجاء صوت الطبيب يقول له :

ــ « هناك مذكرة هنا .. يبدو أنها من الرجل الذى قتل هؤلاء فى أطلنطا .. وجدتها فى زنزانة هانيبال لكتر .. مكتوبة على ورق تواليت وعليها علامات أسنان .. »

ــ « هل يمكن أن تتلوها على ؟ »

حاول د . شيلتون أن يكون هادئًا وقال :

ــ « عزيزى د . لكتر ..

أردت أن أخبرك أننى سعيد أنك مهتم بى .. عندما عرفت بأن كثيرين يراسلونك تساءلت : هــل أجسر ؟.. بالطبع أجسر . كما إننى لا أعتقد أنك ستخبرهم بشىء عنى حتى لو كنت تعرف . ليس المهم أى جسد أحتله الآن . المهم ما أتحول له .. أنت وحدك يمكن أن تفهم هذا .. سوف أريك شيئًا مهمًا يومًا ما .. وأتمنى أن نتبادل المراسلات ..

غرس غصن شجرة فى فتحة علبة المياه الغازية حتى لا يلمسها وبدأ يهبط فى حذر ..

سوف يسلم العلبة للشرطة .. يحتاج إلى عونهم هنا فلا داعى لانتظار رأى الـ FBI .. دعهم يدرسون الغصن المهشم كأنهم حيوان نمس مجنون .

اتصل بقسم جرائم القتل فى برمنجنهام ، وسرعان ما وصل المخبرون ليقوموا بعملهم ..

الفصل العاشر

راح دولارهايد يقلب صفحات الجريدة التافهة حتى وجد المقال الذى قرأ عنوانه على الغلاف :

استشارة سفاح مجنون فى حالات قتل جماعى

بوساطة الشرطى الذى حاول قتله

بقلم فريدى لاوندس

اتجه الباحثون الفيدراليون أثناء بحثهم عن جنية الأسنان ـ القاتل السايكوباثى الذى ذبح عائلتين كاملتين فى برمنجنهام وأطلنطا ـ إلى طلب معونة قاتل خطير فى السجن .

كنا قد كتبنا هنا منذ ثلاث سنوات عن د . هانيبال لكتر ، وقد قام المحقق ويل جراهام بزيارته فى محبسه الحصين ، وذلك بعد تكليفه بالقبض على جنية الأسنان . ماذا دار فى تلك المقابلة الغريبة ؟.. لا نعرف بالضبط . لكن من الواضح أن الشرطة تريد الاستعانة بخبرات هانيبال الذى هو آكل لحوم بشر وعالم نفسى

« لدى مجموع كاملة من التقارير الصحفية عنك فأنا معجب بك منذ أعوام . إن المفتش جراهام يثير اهتمامى .. يبدو ذكيًا برغم أنه ليس وسيمًا . اغفر لى نوعية الورق التى أكتب عليها .. الفكرة أنها ستذوب بسرعة شديدة لو أنك أردت أن تبتلعها » .

انتهت القـراءة فسـاد الصـمت بعض الوقـت ، ثم تساءل كراوفورد :

ـ « هل لكتر يعرف أن المذكرة معك ؟ »

ـ « ليس بعد .. لقد نقلناه لزنزانة أخرى هذا الصباح ووجد العامل هذه المذكرة وسط لفافة ورق المرحاض » .

نظر كراوفورد للهاتف الآخر مع جراهام .. وأدرك أنه سمع المكالمة بالكامل .

قال جراهام عبر الهاتف:

ـ « كيف كان يفترض من لكتر أن يرد ؟ »

ـ « لا أعرف . كانت مراسلة ما ستدور بين الطرفين .. معنى هذا أن علينا مراقبة لكتر جيدًا .. نحن نريد أن نجد الرابط بين الاثنين .. »

ثم اتصل بد . شيلتون وقال :

ـ « دكتور .. يجب أن نفتش زنزانة د . لكتر بعناية لكن يجب ألا يعرف هذا .. منذ متى نقلتم لكتر من زنزانته ؟ »

ـ « منذ نصف ساعة .. بعد نصف ساعة سوف يتساءل عن سبب التأخير .. إن تنظيف الزنزانة لا يتجاوز نصف الساعة .. »

ـ « إذن اجعل مهندس البناية يقطع الكهرباء عن زنزانة لكتر .. اجعله يمر حاملاً الأدوات أمام الزنزانة ويبدو مشغولاً .. امنع رجال التنظيف من دخول الزنزانة .. سوف أكون عندك حالاً .. »

وطلب طائرة هليوكوبتر تنتظره على سقف البناية خلال خمس دقائق ..

وسرعان ما كان يحمل المذكرة الصغيرة إلى مختبر الألياف والشعر الخاص بالـ FBI . لقـد فرغ الطبيب الشرعى من فحـص العضـة على الـورق ووجـد أنهـا مطابقـة لأسنان (جنية الأسنان) تمامًا . لقد خطر له للحظة أن لكتر هو الذى كتب هذه المذكرة ، ثم تذكر أنهـا مكتوبة بقلم جاف بينما ليس لدى لكتر واحد . هناك علقت الخبيرة المذكرة على مشجب

وراحت تلتقط صورًا لحوافها الممزقة بعدسة مقربة .. سمعها تحرك شفتيها بكلمات عرف أنها تقولها :

ـ « وجدتك ! »

ثم نظرت له وقالت :

ـ « هناك شعرة .. 32/1 من البوصة .. ماذا عندك ؟ »

ناولها ثلاثة مظاريف وقال :

ـ « هذه شعرة من مشط لكتر .. شعيرات من آلة الحلاقة الكهربية .. وهذه من عامل التنظيف .. هكذا يمكنك استبعاد هؤلاء » .

كان من المؤكد أن القاتل يقرأ جريدة تاتلر .. فهى التى تكلمت عن لكتر وجراهام . ولما كان هناك اتصال يتم مع لكتر فى المستشفى فعلى الأرجح هناك أخبار معينة يتم نشرها فى هذه الجريدة بحيث يستنتج هانيبال منها أشياء ..

هذا شخص يستعمل يده اليسرى ليكتب برغم أنه أيمن . ويتعمد استخدام حروف كبيرة ..

المشكلة هى أن لكتر لن يتكلم أبدًا .. حتى لو استعملوا معه العقاقير فلن يخبرهم أبدًا بالطريقة التى كان القاتل سيتلقى بها رسائله . لقد جربوا معه بنتوثال الصوديوم ــ مصل الحقيقة ــ من قبل بحثًا عن أحد ضحاياه المدفونين ، لكنه لم يتكلم .

ثم عرفوا أن لكتر أرسل لجريدة تاتلر يطلب نشر إعلان معين ، يقول فيه :

عزيزى الحاج

أصلى 100 صلاة من أجل نجاتك

ابحث عن العون فى إنجيل يوحنا 6:22 و8:16 و9:1 ولوقا 1:7 و3:1 وسفر الرؤية 18:7 ويونس 6:8

كان جراهام يعرف أن لكتر يطلق على السفاح لقب (الحاج) ..

صار أمام جراهام عدة خيارات .. أن ينشر الإعلان كما هو أو يستبدل ما فيه أو يمنع نشره .. أحضر رجال التحريات التوراة وتأكدوا من أن هذه ليست شفرة تشير لآيات معينة . إذن هى فقرات فى كتاب غير التـوراة .. فقرات بالصفحة ورقم السطر أو رقـم السطر وترتيـب الكلمـة . لكن ما هـو الكتاب الذى

يعـرف السفاح أنه عند هانيبال فى الزنزانة ؟ إن لدى هانيبال مكتبة كبيرة .. بعضها كتب طبية وفلسفية وكتب طهى .. فأيها ؟

فى النهـاية قـرر رجال الـــ FBI نشر الإعلان كما هو حتى تستمر المراسلات بين السفاح وهانيبال . خطر لأحدهم أن هذا قد يجعل السفاح يرتكب جريمة أخرى ، لكن جراهام لم يكن يملك الخيار ..

وفى دار تحرير الجريدة راحت المطابع تهدر لتطبع الإعلان الذى كتبه هانيبال . تحقق رجل التحريات من الإعلان ثم وضعه فى مظروف وأرسله لواشنطن ..

الفصـل الحادى عشر

فى الرابعة صباحًا دق جرس الهاتف فى غرفة نوم كراوفورد ، وقد استيقظ على الفور وجد السماعة دون جهد .. هنا جاءه صوت الخبير الشرعى باومان يقول له:

ــ « أنا باومان .. لقـد حللت الشفرة .. يجـب أن تعرف ما تقول » .

ــ « هلم .. »

ودس قدميه فى خفيه .. فقال باومان :

ــ « تقـول الرسالة : بيت جراهام فى فلوريدا .. وفر جهدك واقتلهم جميعًا ! »

ــ « رباه ! »

كان كل شىء موجودًا فى الصفحة رقم 100 من كتاب (متعة الطهى) الموجود لدى لكتر فى الزنزانة .. الرموز تشير لسطور ثم كلمات ...

وهرع يتصل بجراهام فى الفندق ليخبره أن الشفرة تم حلها وكل شىء تمام .

ـ « فقط هناك نقطة .. لكتر الوغد أخبر السفاح بعنوان بيتك .. انتظر .. هناك سيارتا شرطة تتجهان لشوجارلوف الآن .. لا تستطيع جنية الأسنان عمل شىء فى هذا الوقت القصير . لن يخيفوا مولى .. فقط سيغلقون الطريق إلى البيت .. سوف آتى لك خلال نصف ساعة » .

ـ « لن تجدنى » .

ـ « اسمع .. من الأسهل أن تجلب الأسرة هنا .. بيت أخى فى شيسابيك متاح لهم . أصغ لي » .

* * *

فى المطار نزلت مولى والصبى قادمين من فلوريدا . رأت جراهام وسط الزحام وخرجوا من المطار ليركبوا سيارة ، بينما كانت سيارة شيفروليه أخرى تتقدم الطريق وسائقها يتكلم فى ميكروفون من وقت لآخر ..

أخيرًا وصلوا إلى المكان خارج واشنطن ، بينما جراهام يؤكد لها أنهم يفرون مـــن الصحافة لا أكثر .. لكنها استنتجت أن السفاح فى أثرهم .. وعرفت أن الدكتور لكتر اتصل بالسفاح واقترح عليه ذلك .

ـ « أنت وويلى فى أمان .. لا يوجد مخلوق فى العالم يعرف أنكما هنا » .

لكن سكرتيرة كراوفورد تلقت مكالمة هاتفية . لما قالت إن الأخير غير موجود ، طلب المتصل أن تخبر كراوفورد أن الحاج اتصل به !!

كان كراوفورد يعرف أن الوحيد الذى يطلق على السفاح لقب (الحاج) هو هانيبال لكتر !..

قال المدعو الحاج إنه قد يتصل غدًا ظهرًا ، لذا أعدت الـ FBI تفاصيل كثيرة بانتظار المكالمة . تم استدعاء جراهام ليسمع المكالمة مع وضع جهاز تتبع وجهاز تسجيل .. وكان د . بلوم هناك ليدرس انفعالات من يتصل .. وكان رأى كراوفورد أن يجروا بروفة للمكالمة ...

قال جراهام :

ــ « يمكن أن يتم تتبع المكالمة خلال دقيقة أو أقل .. سوف تغلق الدائرة عندما يدق الهاتف ، لكنه سيظل يسمع صوت الرنين حتى لا يعرف أننا رفعنا السماعة . عند الدقة الرابعة تغلق مولد حرارة الهاتف .. مفهوم ؟ »

قال د. بلوم:

ــ « من الطبيعى أن تكون ساخرا متشككا بسبب كثرة المكالمات الزائفة .. أطلب منه أن يخبرك بشىء عن الجرائم يؤكد أنه هو » .

دق جرس الهاتف فهرعت السكرتيرة سارة ترفع السماعة .. ثم تبدل وجهها . كان هذا صديق كراوفورد فى قسم المخدرات . كل واحد فى البناية يعرف أن عليه ألا يستعمل الهاتف الآن ..

من جديد انتظروا نصف ساعة ثم دق جرس الهاتف .

هرع جراهام يلتقط السماعة .. بينما ردت ساره .. هنا قال جراهام :

ــ « أنا ويل جراهام .. هل لى أن أعرف من المتكلم ؟ »

ــ « ألم تخبرك السكرتيرة ؟.. لو قلت لى إنك لا ترغب فى الكلام مع الحاج فلسوف أضع السماعة .. »

ــ « هل لى أن أساعدك ؟ أعتقد أن عندك مشكلة » .

ــ « المشكلة عندك أنت .. واهتمامى هو فى أطلنطا وبرمنجنهام مثلك .. »

خط كراوفورد بعض كلمات على الورق قرأها جراهام .. من ثم قال:

ــ « لن تصدق عدد الكاذبين الذين يتصلون بى هنا .. يمكن بسهولة معرفة أنهم لا يملكون أدنى فكرة .. »

وضعت سارة ورقة أمام عينى جراهام ليقرأ المكتوب:

ــ « كابينة هاتف فى شيكاجو .. تشويش .. »

قال المتصل :

ــ « ابدأ أنت أولاً .. قل لى شيئًا عن الحاج .. لو أخطأت فلسوف أضع السماعة » .

قال جراهام :

ـ « هذا سهل .. إنه يستعمل يده اليمنى .. غير متكيف .. قوى جسديًا » .

ـ « أنت تخمن .. »

كان عليه أن يذكر شيئًا لا يستطيع القاتل أن يغيره .. هنا سأله المتصل :

ـ « هل تعتقد أن الحاج مجنون ؟ »

نظر للدكتور بلوم فوجده يهز رأسه نفيًا .. قال:

ـ « لا أظن أن من يتصرف بحذر مثله مجنون .. »

ههنا سمع الجميع صوت شهقات . ثم صوت الكابينة يفتح بعنف .. وصرخ أحدهم فى شيكاغو:

ـ « لا تتحرك .. أبق يديك بحيث أراهما ! » .

نظر الجميع لبعضهم فى ذهول ، ثم جاء صوت عبر السماعة يقول :

ـ « أنا الملازم ستانلى ريدل من شرطة شيكاغو .. مع من أتكلم ؟ »

قال جراهام بصوت يرتجف :

ـ « أنا ويل جراهام من الـ **FBI** » .

ـ « لدى رجل هنا .. إنه صحفى أعرفه اسمه فريدى لاوندز .. هل توجه له أى تهمة ؟ »

شحب وجه جراهام واحمر وجه كراوفورد .. كان فريدى لاوندز صحفيًا من المولعين بالفضائح ، وهو ينشر فى الكثير من الصحف الصفراء وبخاصة التاتلر . بعد لحظة صمت قال:

ـ « أنا أريد توجيه اتهامات له .. تعطيل العدالة .. أرجوك أن تسجنه » .

ثم وضع السماعة محدثًا دويًا أصاب الجميع بالرعب ، وغادر المكان وأغلق الباب بعنف من ورائه . وبقى كراوفورد ليفهم من الصحفى أنه عرف بالإعلان الذى نشره لكتر فى جريدة تاتلر ، وقد تسرب له موضوع اللقب الذى يستعمله لكتر (الحاج) ، لذا حاول الحصول على معلومات أكثر بهذه الحيلة .

قال الصحفى :

ـ « لو لم تطلق سراحى فلسوف أفسد خطتكم بالكامل .. سوف أرسل عشرات الإعلانات للجريدة وكلها موجهة للحاج ..»

ـ « سوف أضيف لتهمة إعاقة العدالة تهمة التهديد .. »

ووضع السماعة ..

الفصل الثانى عشر

كان الوقــت يضيق لأن جراهام توقــع مع الشرطة أن تتم الهجمة التالية مساء السبت 25 أغسطس .. هنا يكتمل القمر .. دعك من أن كل هجمة سابقة تزامنت مع اكتمال القمر . على الأقل كان عليهم أن يبدءوا التوتر من يوم الخميس السابق ..

اقترح جراهام أن يقوم رجال الشرطة بعمل مصيدة لجنية الأسنان .. سوف يجرى جراهام حوارًا صحفيًا مع ذلك الصحفى المزعج (لاوندز) ، وسوف ينشر الحوار فى جريدة تاتزر طبعًا . هذا الحوار سوف يتضمن إهانة السفاح وتسفيه أفكاره . هذا سوف يستفزه وسوف يحاول الانتقام من جراهام ..

وافق جراهام وتم إبلاغ الصحفى أن الأول وافق على إجراء حوار شخصى معه ..

تم إجراء الحوار وأجاب جراهام عن الأسئلة بصوت هادئ . ثم روجع النص بمعرفة د. بلوم .

كان د . بلــوم يؤمن أن السفاح يعانى إحساسًا لا يحتمل بالنقص ، وتهشيم المرايا يرتبط بكراهيته لمنظره . أما عن مقته لاسم (جنية الأسنان) فيدل على أنه يشك فى رجولته ويخشى أن يكون شاذًا ، لذا يمقت أن يرتبط بلفظة (جنية) . أما عن ترك الزوجة لتموت بعد أسرتها كلها فهذا يعكس كراهيته لصورة الأم .

قال جراهام هذا وأكثر أثناء الحوار ..

قال : إن جنية الأسنان كانت قبيحة عاجزة .. قال : إنه يؤمن أن السفاح جاء من بيت متفسخ وأنه كـــان موضـــوع سخرية أصدقائه وكل من يعرفه . قال كذلك إن الأمر يختلف عن هانيبال لكتر .. السفاح هذه المرة ضحل الذكاء .

التقط له لاوندز الكثير من الصور .. منها صورة له وهو جالس إلى مكتب يلبس روبًا وهو يرمق صورة كونها رسام الشرطة للسفاح . من خلفه كان جزء من قبة الكابيتول واضحًا من النافذة . وكانت هناك فى الركن الأيمن السفلى لافتة لفندق شهير فى المنطقة . كانت هناك كذلك صور كثيرة فى مختبر الـــ FBI ومنها جراهام وهـــو يفحص مسدسًا كمسدس السفاح ،

وصورة لهما أمام مطياف كتلة .. لا أهمية له فى القصة لكن لاوندز وجد أن مظهره جميل .

تم ترتيب أن يظهر الحوار والصور فى جريدة تاتلر يوم الاثنين 11 أغسطس . وتم ترتيب مصيدتين للسفاح ، بينما كان جراهام يتوجه كل ليلة إلى المسكن الملفق الذى ظهر فى الحوار مع جريدة تاتلر . سوف يعبر ممرًا يصلح لإطلاق الرصاص عليه .. سوف يلبس سترة واقية من الرصاص تحت الثياب ، بينما سيتم إضعاف الإضاءة لتصعيب الأمر على السفاح .. لكن رجال الشرطة سوف يستعملون نظارات رؤية ليلية ، ولهذا سوف يرش جراهام ستراته بسبراى خاص كى يميزه قناصة الشرطة .

لم يكن جراهام راضيًا عن كل شىء .. كان يشعر بأنهم يلعبون ألعابًا سخيفة مع أنفسهم ، وبرغم هذا كان يدرك أنه لا يوجد حل آخر ..

* * *

عند منتصف الليل كان دولارهايد قد حصل على نسخته .. وصلت لبائع الصحف فطلب هـــذا من دولارهايد أن ينتظر حتى

يفتح لفافة تريبيون ، لكنه رأى وميض شىء معدنى .. وسرعان ما تمزقت لفافة التاتلر وصارت هناك نسخة فى يد الرجل . إذ ابتعد دولارهايد بالجريدة كان يقول لنفسه إن الزمن تغير .. فى الماضى كان بوسع البائع أن يهين دولارهايد ، لكنه لا يستطيع اليوم أن يهين التنين .. هذا هو التحول ..

على الأرض رقدت جريدة تاتلر وقد مزق منها ما مزق ، وألصق القصاصات التى يريد الاحتفاظ بها . وكانت هناك حقيبة من البلاستيك ما زالت فارغة كتب عليها (بهذه العبارات آذاني) .

كان فى القبو واقفًا يسلط الكشاف على الأثاث المغبر وعلى المرايا التى أدارها للجدار جميعًا . أخيرًا توقف الشعاع على جسم طويل مغلف بالعناكب . راح يعطس عندما هيج الغبار أنفه وهو يكشف الملاءة عن هذا الشىء .. كان مقعدًا متحركًا ثقيلاً .. لقد كان منحة من الدولة ـ وثلاثة مقاعد أخرى - لجدته عندما كانت تدير دار رعاية هنا .

حمل المقعد بصعوبة إلى المطبخ ، وهناك راح يزيت العجلات التى صار دورانها صاخبًا .. كان هناك صوت همهمة من العجلات وهى تدور ... ومع الهمهمة راح يهمهم هو أيضًا .

الفصل الثالث عشر

فى شيكاغو كان الصحفى لاوندز قـد أعـد ملفًا ضخمًا عن (جنية الأسنان) ، وكـان يعـرف أنه لو سـقط السفاح أو قتل فلسوف يكون الملف جاهزًا للصحيفة على الفور . كان مضطرًا لأن يعمل ما يطلبه كراوفورد بالضبط لأنه أطلق عبارات تهديد على الهاتف وقد سجلها كراوفورد .. معنى هذا أنه تحت رحمة الـ FBI فعلاً . كان يعرف كذلك ان بوسع كراوفورد أن يسبب له مشاكل عظيمة مع الضرائب .

اليوم سوف ينام ثلاث ساعات ثم يركب الطائرة إلى شيكاغو ، حيث يقابل كراوفورد .

أوقف سيارته فى المرآب تحت الأرض .. كانت هناك عربة فان تقف أمامه .. تقف بالضبط فى المساحة المكتوب عليها (مستر فريدريك لاوندز) . فتح لاوندز الباب ليضرب جسم السيارة الفان فيحدث انبعاجًا فيها .. هذا سيلقن الوغد درسًا ..

كان يغلق سيارته .. هنا انفتح باب الفان خلفه .. استدار عندما ضرب شىء ثقيل أذنه . شعر بضغط هائل حول عنقه ولم يعد هناك هواء يدخل صدره .. عندما استطاع أخيرًا أن يدخل الهواء فى صدره امتلأت رئتاه بالكلوروفورم .

* * *

أوقف دولارهايد سيارته الفان خلف داره وهبط . كان مرهقًا من طول المسافة التى قاد بها سيارته من شيكاغو . فتح الباب الخلفى وقام بعملية تفتيش فى البيت . ثم خرج من جديد وهو يلبس قناعًا على شكل جورب على رأسه . فتح الفان وأخرج فريدى لاوندز الذى كان معصوب العينين مكممًا .. وكان مقيدًا للمقعد المتحرك بالكامل عن طريق لصق يديه وساقيه للمقعد بصمغ قوى ..

جره دولارهايد للبيت ووضعه ووجهه للجدار وظهره للغرفة كأنه قد أساء التصرف . أحضر بطانية لفها حول الرجل ثم وضع زجاجة من النوشادر تحت أنفه .. شمها لاوندز ففتح عينيه ..

ـ « حادث ؟.. هل أنا مصاب ؟.. هل احترقت ؟ »

جاء الصوت من خلفه :

ـ « لا يا سيد .. أنت على ما يرام .. »

ـ « بل أنا مصاب .. رباه ! .. لابد أن ظهرى تحطم .. أرجو أن تتصل بمكتبي .. »

فلم يسمع سوى الخطوات تبتعد ..

سمع صوت الدوش .. تذكر أنه غادر مكتبه وقاد السيارة .. لكنه لا يذكر أى شىء بعد هذا . كانت رائحة الكلوروفورم قوية .. تمنى أن يكون نائمًا .. رفع ذراعه وحاول لكن الألم كان عنيفًا . لا . ليس نائمًا ..

لا .. ليست هذه ضمادات .. إنه ليس فى مستشفى .. إنه مخطوف ..

فكر .. فكر ..

هنا سمع صوت دولارهايد من خلفه . قال له وهو يحاول التحكم فى صوته :

ـ « اسمع .. أنا لم أر وجهك .. لا أعرف اسمك .. أنا أعمل فى جريدة تاتلر وسـوف أدفع مكافأة .. ربما أدفع لك نصف مليون دولار » .

انس الألم للحظة .. إنه لم يدعك ترى وجهه .. معنى هذا أنه لا ينوى قتلك ..

ــ « هل تعرف من أنا يا مستر لاوندز ؟ »

ــ « لا .. لا أعرف أى شىء عنك » .

ــ « حسب كلامك أنا منحرف جنسيًّا وفاشل .. بل أنا حيوان تحرر من مصحة بوساطة قاض طيب القلب . لماذا تكذب يا مستر لاوندز ؟.. لماذا تقول إننى كذاب ؟.. » .

ــ « عندما .. عندما يفعل شخص أشياء لا يفهمها عصره يعتبره الناس مجنونًا .. لو أنك أطلقت سراحى .. لكن أنا فعلاً مذعور وهذا يمنعنى من تكوين وجهة نظر صحيحة عنك » .

طلب منه السفاح العذر .. سمعه يغادر المكان ثم يدخل المطبخ ، وسمع صوت درج مطبخ يفتح وعبث بأدوات . كان يعرف أن كثيرًا من الجرائم تتم فى المطبخ .. لو أنك قرأت تقارير الشرطة لكرهت المطابخ للأبد . فجأة رأى يدًا شاحبة توضع جواره وهى تحمل قدحًا من الشاى بالعسل .. شربه مستعملاً شفاطة ..

شعر بالمقعد يدار ببطء ليواجه خاطفه فصاح :

ــ « لا .. لا أريد أن أراك ! »

ــ « بل يجب أن تفعل يا مستر لاوندز .. أنت صحفى .. يجب أن تفتح عينيك وإلا دبست جفنيك لجبينك » .

فتح لاوندس عينيه ببطء فرأى روب كيمونو ورجلاً يضع قناعًا من جورب .. استدار الرجل له ثم أنزل الروب عن كتفيه . وتقلصت عضلات الظهر كاشفة عن وشم ذيل وأرجل .. استدار التنين الأحمر ببطء نحو لاوندس وابتسم ..

قال لاوندس:

ــ « يا الله ! »

وعندما رفع عينيه رأى الشاشة .. رأى عرض الشرائح الذى أعده دولارهايد . رأى لوحة بليك .. التنين البشرى العظيم .. يحلق فوق امرأة تكسوها الشمس . ثم بدأت الشرائح تتغير ..

كليك .. مستر جاكوبى حيًّا .. هل ترى ؟.. نعم .. كليك .. مسز ليدز حية .. هل ترى ؟.. نعم .. كليك .. التنين ثائر .. هل ترى ؟.. نعم .. هذه صورة مسز ليدز ميتة ... ثم صورة لاوندز حيًّا ..

قال لاوندس :

ـ « أرجوك ألا تفعل .. أرجوك » .

سأله السفاح :

ـ « هل تنوى أن تكتب أكاذيب أخرى ؟.. »

ـ لا .. لا » .

ـ « لماذا كتبت أكاذيب يا مستر لاوندس ؟.. »

ـ « جراهام هو الذى قال لى ما كتبته .. »

ـ « أنت قلت إننى مجنون .. انا الذى رأيت أبعد منك بكثير .. أنا الذى غرست وتدى بعمق فى الأرض .. حياتك بالنسبة لى أثر تركته علقة على صخرة . أنا التنين الأحمر .. وأنت مدين لى .. ليس بالخوف يا مستر لاوندس بل بالرهبة . »

كان يتكلم وقد انحنى رأسه ، واعتصر أعلى أنفه بإبهامه وسبابته .. ثم غادر الغرفة ..

قال لاوندس لنفسه :

ـ « لم ينزع القناع .. لم ينزع القناع .. لو نزعه فأنا ميت .. رباه .. أنا مبتل تمامًا » .

عـــاد له دولارهايد حاملاً غـــداء وترمـــوس وجهاز تسجيل وقـــال له :

ـ « هذا لرحلتك للبيت .. لكن قبل هذا سوف نسجل لك بعض العبارات » .

وراح يسجل لنصف ساعة وفى النهاية أعلن أنه انتهى . قال له لاوندس :

ـ « أنا أريد أن أفهم .. أريد أن أفهمك .. أشكرك كثيرًا على أنك ستطلق سراحى .. »

ابتسم له دولارهايد ابتسامة صفراء ثم مال نحوه كأنه سيقبله على شفتيه .. بدلاً من ذلك عض شفتيه فانتزعهما من مكانهما وبصقهما على الأرض .

الفصل الرابع عشر

جاء الفجر فى شيكاغو .. وصارت السماء رمادية ..

غادر أحد رجال الأمن مدخل جريدة تاتلر ووقف يدخن . كان وحده فى الشارع تمامًا . وعلى بعد قريب جلس دولارهايد القرفصاء جوار لاوندس فى مؤخرة العربة الفان . كان لاوندس يعانى ألمًا مريعًا .. كان عقله يتسارع .. يجب أن يتذكر أشياء . ارتدى دولارهايد ثياب مسعف بيضاء ثم أنزل مقعد لاوندس من السيارة . كانت العصابة على عين لاوندس لكنه رأى طرفًا من لوحة السيارة .. لمحه لكنه حفرها فى ذهنه ..

أوقف دولارهايد المقعد بين شاحنة متوقفة ومخزن مخلفات .. ونزع العصابة عن عينى لاوندس .

هنا رأى لاوندس وجه السفاح لأول مرة . كان يفتح الترموس .. شم لاوندس رائحة الجازولين فراح يحاول التملص .. سال السائل ليغمره ويملأ حلقه بالأبخرة .

ـ « هل تحب أن تكون حيوان جراهام المدلل يا فريد ى ى ى ى ى ؟ »

واشتعل السائل محدثًا صوت (واب !) ودفع المقعد بمن عليه نحو مبنى جريدة تاتلر ..

سمع الحارس الصرخة .. ورأى كرة النار قادمة والدخان والشرر ينبعث منها . انقلب المقعد أمام البناية وتصاعد الدخان للسماء ، بينما غلفت النيران منظر إنسان يقاوم .

هـرع الحـارس للمدخـل وهو يتساءل إن كان المقعد سينفجر أم لا .. هل عليه أن يبتعد عن النوافذ ؟

أطلق إنذار الحريق .. بحـث عن مطفـأة الحريق ثم خرج محاذرًا يبحث عن الجثة المحترقة ، وأخيرًا راح يرش الرغوة على فريدى لاوندس .



الفصل الخامس عشر

جاءت المكالمة لجراهام :

ــ « لقد ظفرت جنية الأسنان بلاوندس فى شيكاغو ! »

ــ « رباه !! »

ــ « لم يمت بعد .. يسأل عنك .. لن يظل حيًا طويلاً » .

ــ « سأذهب .. »

ــ « قابلنى فى المطار .. رحلة (يونايتد 245) بعد 45 دقيقة .. »

* * *

فى شيكاغو كانت هذه اللحظات الأخيرة فى حياة لاوندس . كان قد احترق بالكامل ، وهذا ساعد على أن يحرق أعصاب الجلد فلم يعد يشعر بألم . وكانت فى هذا رحمة ربانية بالتأكيد .

كذلك كان الأطباء قد ملئوا دمه بالمورفين ليكون فى حالة غيبوبة تقريبًا ..

كان الطبيب صارمًا .. سوف يتم استجوابه فإذا رأى الطبيب أن هذا خطر سيوقف الاستجواب فورًا .

بالفعل استطاع لاوندس أن يتماسك حتى ذكر لهم رقم لوحة السيارة .. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة .

على الفور تم عمل تحقيق سريع فتبين أن هذه اللوحة مسروقة تخص سيارة لبن . يبـدو أن السفاح سرقها ثم ثبتها على سيارة فان . لابد من سيارة فان كى يستطيع أن يضع مقعدًا متحركًا فيها .

كان جراهام قد فهم ما حدث .. جنية الأسنان تقتل الحيوان الأليف أولاً قبل أن تقتل صاحبه !.. هو ظهر فى صورة الجريدة يربت على كتف لاوندس .

قال جراهام :

ــ « الفكرة هنا أنه تصرف بسرعة جدًا .. صدرت الجريدة فكان جاهزًا على الفور بمقعد متحرك وسيارة فان وكلوروفورم

ووجه الضربة للاوندس .. ما معنى هذا ؟.. هو لم يركب الطائرة بكرسى متحرك .. كما أنه لم ير الجريدة فهرع إلى متاجر العاديات ليبتاع كرسيًا متحركًا وابتاع سيارة فان .. هو كان يملك المقعد منذ البداية ، وكان قريبًا جدًا من لاوندس . »

قال كراوفورد فى اهتمام :

ــ « سوف نفتش بيوت الرعاية الصحية فى المنطقة كلها » .

هنا دق جرس الهاتف فرد عليه الملازم أوسبورن .. أصغى قليلاً وامتُقع وجهه ثم وضع السماعة وقال :

ــ « هذه سكرتيرة لاوندس .. تقول إن مكالمة جاءتها منذ نصف ساعة .. تقسم أن المتصل كان لاوندس نفسه .. قال لها شيئًا عن (قوة التنين الأحمر) ثم وضع السماعة ! »

* * *

جلس جراهام وحده فى الظلام فى واشنطن يفكر .. كان الألم يمزقه وقد قال لنفسه إنه كان سيكون سعيدًا لو احترق هو حيًا بدلاً من لاوندس ..

لقد عجز تمامًا عن فهم طريقة تفكير التنين الأحمر .. يريد أن يعرف ماذا يراه وكيف يفكر ..

لكى يفعل هــذا كان عليـــه أن يملك القـــدرة على السفر عبر الزمن ..

* * *

فى 14 يونيو 1938 فى سبرنجفيلد ميسورى ..

غادرت ماريان دولارهايد سيارة الأجرة .. كان هذا مستشفى البلدة . بطنها منتفخة وآلام فى كل جسدها . كان فرانسيس دولارهايد فى بطنها الآن ..

كذبت وقالت إن اسمها بيتى جونسون وإن زوجها موسيقى .. وضعوها فى القسم الخيرى للولادة . خلال أربع ساعات كانت فى غرفة الولادة .. وعندما خرج الطفل للعالم لاحظ الطبيب المولد إنه يبدو كوطواط مسطح الأنف أكثر منه بشريًا . كان سقف فمه مشقوقًا وقد قرر العاملون بالمستشفى ألا تراه أمه فورًا .

كــان يستطيع التنفس لكنه لا يستطيع امتصاص الطعام بهــذا الشق فى سقف فمه . ولم تكن صرختة تشبه صرخات الرضع مثله الذين يدمنون الهيروويين .

دخلت الغرفة ممرضة بدينة رأته .. كانت قد رأت نحو 39 ألف رضيع من قبل وكانت تعرف أنه سيعيش فقط لو أكل . لذا أخرجت أداة صغيرة للرضاعة من جيبها .. وضمته لصدرها العملاق ودست فيه الأنبوب .. شرب أوقيتين ثم نام .. وانطلقت هى تغير حفاضات الرضع .

كانوا قد نقلوا ماريان لغرفة أخرى ، وكانت فتاة جميلة ، وقد بدأ الانتفاخ يختفى من وجهها .. جاءوا لها بالرضيع فصرخت .. أغلقوا الباب وأعطوها حقنة مهدئة .

وبعد يومين غادرت المستشفى وحيدة .. كانت تعرف أنها لن تعود للبيت أبدًا فقد أوضحت أمها هذا .

أما عن الصبى فقد جرب أحد أطباء التجميل حظه .. جرب معه طريقة الثنيات المثلثة التى لم يعد أحد يستعملها . ولم تكن النتيجة جميلة المنظر . وتطوع طبيب أسنان بعمل سدادة لسقف فم الرضيع بحيث يمكنه أن يشرب ويأكل من دون أن يخرج الطعام من أنفه .

فى سن الخامسة تلقى أول زيارة فى دار الأيتام . كانت هناك سيدة نحيلة فى منتصف العمر وشعرها معقوص وكان وجهها شاحبًا . قال مدير الميتم لفرانسيس :

ــ « ها هى ذى جدتك » .

ابتسمت وقالت له :

ــ « مرحبًا » .

وكان قد تعلم كيف يتكلم بأن يسد فتحتى أنفه بشفتيه لكنه لم يجد الوقت لذلك .

ــ « هلا جربت أن تقول : جدتى ؟ »

لم يستطع التحكم فى نطق حرف الجيم . وبدأ يبكى .. فقالت جدته :

ــ « لا تهتم .. لكن على الأقل قل لى اسمك » .

تألق وجهه .. كان يعرف كيف يفعل هذا .. فأطلق سبة قذرة فى وجهها .

بعد ثلاثة أيام جاءت وأخذته ...

كانت تعانى الفقر والفاقة وقد حاولت أن تحول بيتها إلى بنسيون .. ثم بدأت تحوله لملجـأ عجـزة وتتلقى إعانات من الحكومة . وكانت قـد قرأت فى الصحف أن ابنتهـا تزوجت من محام ثرى شهير ، فحاولت الاتصال بها مرارًا بلا جدوى .

هكذا قضى فرانسيس طفولته يلهو بين أقدام النزلاء فى غرفة الجلوس ، وهم يصغون للمذياع أو تحدق عيونهم المنهكة فى الفراغ . يذكر صوت المشى على مشمع الأرضية ورائحة الكرنب قادمة من المطبخ .

* * *

يذكر أنه كان فى غرفته يشعر بالخوف من الظلام ، ويهاب الذهاب للحمام للتبول بسبب الظلام . راح ينادى الجدة بطريقته .. بدا كأنه ماعز مذعورة .. وفى النهاية أفرغ المثانة لتبلل الفراش وسروال المنـامة . ارتطم بشىء ما .. زحف فى الظلام مبللاً نحوها وصعد إلى جوارها فى الفراش ..

صحت من النوم فراحت تبحث عن طاقم أسنانها جواره وهى تقول:

ـ « أنا لم أر قط طفلاً (قجرًا مشلك) من قبل .. »

ثم ضربته ليغادر الفراش وأعادت وضع طاقم أسنانها .. وأضاءت المصباح . مررت يدها على جبهته ففوجئت بالدم على إصبعها .. سألته :

ـ « هل تأذيت ؟.. هل حطمت شيئًا ؟.. »

ثم طلبت منه أن يعود لغرفته .. هناك وقف فى الظلام ينتظرها . لا يريد العودة للفراش المبلل ويخشى ألا تأتى .. كل ركن مظلم فى الغرفة كان يقول إنها لن تأتى .. لكنها جاءت ومعها ملاءات نظيفة وشريط لاصق واقتادته للحمام ليبدل ثيابه . ثم وضعت المقص مفتوحًا على جزء من جسده فشعر بالمعدن البارد .. قالت له:

ـ « هل تشعر بهذا ؟.. أقسم أنك لو بللت فراشك ثانية فلسوف أنتزع جزءًا منك بالمقص .. هل نفهم » .

هز رأسه فى رعب ..

ـ « يمكنك أن تجد المرحاض وتجلس عليه كصبى طيب .. الآن عد لفراشك » .

الآن تهب الريح فتصدر الأوراق هسهسة على الشجر ، بينما فرانسيس دولارهايد ذو الاثنين وأربعين عامًا راقد على ظهره يمتص إصبعه وشعره ملوث بالعرق ، وهو يمتص إصبعه .. يشم رائحة الجازولين .. مثانته مليئة .. ينهض فى الظلام إلى المرحاض .. يجد المقعد فيجلس عليه كصبى طيب ..

الفصل السادس عشر

كان يحب جدته جدًا لذا كان يصدق كل ما تقول ، ولم يكن يريد أن يؤذيها بأى شكل .. راح يتخيل أن اللصوص هاجموا البيت ، وهو دافع عنها وأنقذها فقالت له : أنت لست ابن الشيطان .. أنت ولدى الحبيب ..

عليه ألا يخاف الظلام .. عليه أن يكون الشىء الذى يخاف اللص منه .

فى الظلام حمل الفأس وتسلل إلى عش الدجاج ..

رفع الفأس ..

بعد هذا كان عليه أن يغسل الدم عن سرواله وقميصه .. لكنه شعر براحة وسلام لم يعهدهما من قبل .. للمرة الأولى يشعر بمذاق السعادة ..

فى الصباح أثار منظر الدجاج الميت حيرة الجدة .. قالت إن هذا لا يبدو كعمل ثعلب .

عندما تكرر المشهد عدة مرات كانت الجدة مقتنعة تمامًا أن الفاعل عامل كان لديها وطردته .

لكنها ظلت تهدد دولارهايد بأن تزيل جزءًا من جسده بالمقص لو أخطأ .. وكان التهديد دائمًا وقائمًا طيلة الوقت ..

كانت الجدة تتغير .. طباعها صارت شرسة وصارت أقل ميلاً للنظافة ، وذات يوم أسقطت الخادم السوداء التى تحبها كوبًا من الدقيق فاتجهت نحوها وصفعتها .. ثم سكبت إناء من الحساء فى وجهها ..

وفى الليل سمعها فى الغرفة المغلقة تشتم وتلعن ثم سمع قطع الأثاث تتطاير .. وفى الصباح جمعت الطاهية متاعها ورحلت ..

بعد أسابيع جنت العجوز تمامًا وتم نقلها لمصحة عقلية ، وكان على فرانسيس أن ينتظر 14 عامًا قبل أن يراها ثانية .. تم ترتيب قدوم أمه الحقيقية لتأخذه .. وقد انتقل ليعيش فى بيت زوج أمه مع أولادها . منحوه غرفة فى أعلى سلم الخدم وألحقوه بمدرسة ابتدائية قريبة . وفى البداية تجاهله الأطفال – أخوته من الأم – تمامًا ثم بدءوا يزورونه فى غرفته .. كانوا

مندهشين من ممتلكاته وتذكاراته .. والأسوأ كان أنهم لم يفهموا حرفًا مما يقول بسبب مخارج الحروف الغريبة لديه ..

قال له (ند) أخوه من الأم :

ــ « لن تكون هناك نزهات صيفية .. لن نشترى حصانًا صغيرًا .. هل تعرف السبب أيها الوغد ؟.. لأن أبى مريض .. مريض بسبب وجهك القبيح .. »

اتجه فرانسيس للباب فعاجله ند بركلة فى كليته .. ثم أمسك به من أذنيه وألصق وجهه بمرآة الغرفة :

ــ « لهذا أبى مريض .. »

وضرب وجهه بالمرآة ..

ــ « لهذا أبى مريض ! »

تلطخت المرآة بالدم واللعاب لكنه لم يبك ..

* * *

الأمطار تنهمر والرعد يدوى بالخارج .. بينما يجلس دولارهايد وحــده فى الظــلام يشــاهد فيلمًا .. فى الفيلم أسرة تقوم بنزهة

خلوية .. ثلاثة أطفال وأب وأم وكلب .. ظل يشاهد الفيلم حتى جاءت لقطات واضحة للأم وهى تلتقط الكرة وقد بدت عضلاتها واضحة . أوقف الكادر عند هذا الجزء وراح يراقب وجهها الجميل .

الفيلم القصير الثانى مشاهد متفرقة لبيت جميل ,,, حمام سباحة .. كلب صغير يركض نحو طفلة الأسرة وأذناه للخلف .. مرح .. حياة أسرية ليلية فى البيت الجديد ..

شارد الذهن أخرج بكرة الفيلم من آلة العرض ونظر للمكتوب:

بوب شيرمان - ستار روت 7 ـ صندوق 603 ـ توسلا أوكلا

تحسس الفيلم فى شوق .. مسافة قصيرة للقيادة كذلك ..

لا يشعر برغبة فى الانتقام .. فقط يشعر بترقب شديد للحظات العظيمة القادمة .. للمجد القادم .. لا يفكر إلا فى المجد القادم فلا يذكر شيئا عن بيت أمه . لا يذكر أى شىء آخر عنه .. يذكر أنه ظل هناك مع أبناء أمه شهرًا ثم طردوه لأنه شنق قطة فكتوريا أخته . لا يذكر أى شىء آخر ..

فى ســن السابعة عشر تسلل لغرفة امــرأة فقبضوا عليه .. خيروه بين السجن والجيش فاختار الجيش . فى بروك اهتم أطباء الجيش به وقرروا عمل جراحة أخرى للترقيع لإصلاح أنفه وشفته .. وفى الجيش تم إرساله لسول فى كوريا ، وهناك تعلم تحميض الأفلام . لما عاد للولايات كانت جدته قد غادرت المصحة فأخذها للبيت واستأجر امرأة تعنى بها صباحًا . ثم وجد عملاً فى شركة تحميض الأفلام (جيتواى) ، وفى هذه الشركة عرف الطريقة التى يتجسس بها على أسرة ويعرف عنوانها وكل شىء عنها .

كان يعيش فترة هادئة من حياته دامت تسعة أعوام بعد وفاة جدته . لكنه شعر بــأنه يتغير ذات يوم ، عندما نظر ليده فوجد أنها قد شاخت .. جلد يده قد تحول لقشور صغيرة كالتى تغطى السحلية . عندها لم يفهم لأنه لم يكن يدرك أنه يتحول بعد ..

بدأ فى بناء عضلاته وكان يقف أمام المرآة وقد لبس قناعًا على وجهه ، ليرمق جسده فى إعجاب . كان بوسعه أن يدخل أى مسابقة كمال أجسام .

هنا رأى لوحة بليك الشهيرة فى مجلة تايمز(*) . انبهر بالصورة فأبقاها معه أيامًا .. كان يراقبها وهو يؤدى التمارين أو قبل النوم . لقد بدأ يدرك الحقيقة .. إنه وحيد .. وحيد تمامًا والسبب فى هذا أنه مختلف ..

لم يكن وجه التنين ظاهرًا فى اللوحة لكن دولارهايد كان يدرك كيف يبدو ..

وعندما سافر لهونج كونج لفترة قصيرة كف عن استعمال غرفة تغيير الثياب فى الشركة . لم يكن أحــد يعرف أنه حل مشكلة أســنانه عــن طــريق اســتعمال طاقم أســنان جدته ، أما لو رأى الناس الوشم على ظهره لصرخوا .

وبعد خمسة أشهر وقع اختياره على آل جاكوبى .

كانوا أعظم من أى شىء عرفه فى حياته .. لقد ساعدوه كى يبدأ التحول ..

بعدها جاء آل ليدز ..

الآن جاء دور آل شيرمان .. وهذه المرة سيصور الأسرة النائمة بالأشعة تحت الحمراء قبل أن يبدأ القتل ..

The Great Red Dragon and the Woman clothad with theSun - Bake (*)

الفصل السابع عشر

كانت شركة جيتواى مرتبطة منذ عام 1979 بعقد مع شركة بيدر للكيماويات ، وذلك ضمن عملها فى مجال الأشعة تحت الحمراء . وقد توجه دولارهايد إلى هناك فى ساعة الغداء ودق الباب الذى كتب عليه (منطقة خطرة ــ ممنوع التدخين أو حمل المشروبات الساخنة) . جاء صوت امرأة يقول:

ــ « أدخل » .

ــ « أنا فرانسيس دولارهايد .. جئت بخصوص المجفف » .

ــ « عذرًا .. لحظة واحدة .. كنت أتناول الغداء » .

ثم قالت له بلهجة كأنها تحاضر :

ــ « ضع ظهرك على الباب .. تقدم حتى تحس بالبلاطة تحت قدمك .. »

كان صوتها جميلاً صافيًا فيه شىء معدنى .

ــ « أنا ريبا ماكلين .. أرجو ألا تكون هناك أى أخطاء » .

ــ « لم يعـد هــذا مشروعى .. أنا لم أدخــل هنا منذ ستة أشهر » .

كانت هذه الجملة خطبة طويلة جـدًا بالنسبة له . شم رائحة عطرية وأحس بجهاز يجرى تفريغ هــواء . وقــف ينتظر فى الظلام . هنا رآها تقف أمامه .. نزع يده عن وجهه ونظر لها .. قال لها :

ــ « هل تسمحين لى ببعض البرقوق ؟ »

ــ « بالتأكيد ... على المنضدة أمامك » .

كانت فى الثلاثين ، لها وجه وسيم دقيق العظام . وعلى قصبة أنفها هناك ندبة بشكل النجم . وهناك نمش لطيف على وجهها ويديها . شعر بأن عينيه حرتان معها .. لم تكن تصد نظراته ..

بدءا قياس الغرفة حيث المجفف .. ثم طلب منها خدمة : بعض الفيلم الحساس للأشعة تحت الحمراء .

قالت له:

ــ « يجب أن تبقيه فى الثلاجة .. وتعيده هناك بعد التصوير .. لماذا تريده ؟ »

ــ « أريد تصوير الحيوانات ليلاً فى حديقة الحيوان دون أن يزعجها الضوء .. »

ــ « ليكن .. سيكون عليك أن توقع على البيانات .. متى تريد هذا الفيلم ؟ »

ــ « قبل يوم 20 من الشهر » .

عندما انصرف أخيرًا عدت ريبا البرقوق .. لقد أخذ واحدة .. رجل غريب .. لم يكن هناك أى نوع من الشفقة فى صوته وهو يكلمها . لابد أنه يعرف أنها عمياء قبل أن يأتي . ربما هو لا يهتم بذلك .

* * *

بعد عدة لقاءات متعلقة بالعمل سمحت له أن يوصلها لدارها بسيارته الفان .. لاحظت فى رضا أنه لم يمسك بذراعها تلقائيًا كما يفعل الناس مع العميان . لا شىء يزعج العميان ويجعلهم يفقدون توازنهم مثل إمساك الذراع بهذه الطريقة .. فقط منحها ساعده لتمسكه كما تريد ..

كان قويًا طويل القامة ، وهذا ما لم تستطع استنتاجه من خطواته وصوته ..

كان عملها فى قسم الأفلام غاية فى الكفاءة ، وكانت تعرف مكان كل شىء وتجيد كل شىء ، كل هذا وهى فى الظلام الدامس كما يقتضى العمل . هذا جعلها جوهرة حقيقية بالنسبة لبيدر ، ولم يكن مستعدًا للتخلى عنها أبدًا .

هكذا دعت دولارهايد إلى شقتها .. وقد قبل هو ، فهو لم يكن قد دخل أى بيوت سوى بيته طيلة حياته .. فكرة أن يدخل بيتًا مدعوًا راقت له كثيرًا .. راقب كذلك طريقتها البارعة فى إعداد شريحة بيتزا له وكيف تقيس المحيط بأناملها قبل أن تقطع . وأحب فكرة أنه قادر على النظر لها وتأملها كما يريد ..

كانت تحاوره بلا توقف .. بدأ يعرق .. لم يحب الكلام لأنه لم يعتده ، لكنه أحب النظر لها كثيرًا ..

قالت له العبارة التى لم يتوقعها قط:

ــ « هل لى أن ألمس وجهك ؟.. أريد أن أعرف إن كنت تبتسم أم تقطب ؟ »

تساءل فى سخرية عن كم إصبعًا سيظل فى يدها لو أنه قضم . هى لا تعرف الخطر الذى تواجهه والذى تتحداه .. لذا قال وهو يمسك أناملها برفق :

ــ « صدقينى إننى أبتسم .. »

ثم قال فى حرج :

ــ « أرجو أن تسمحى لى بالانصراف .. »

ظلت مكانها على الأريكة لبضع دقائق .. بعد ما سمعت قفل الباب ينغلق خلفه . مدت يدها تتحسس الانبعاج على الأريكة وتشم رائحة لوسيون الحلاقة الخاص به ورائحة حزامه الجلدى . لقد راق لها صمته وحرصه على الخصوصية . عندما فقدت بصرها فقدت معه خصوصيتها .. لم تعد تضمن إن كان هناك من يحملق فيها أم لا ، لذا أحبت الخصوصية جدًا .. أحبت أيضًا أنه لم يظهر شفقة بها .. بالطبع هو يفكر بطريقة (العميان يسمعون أفضل) الغبية .. هذا ليس صحيحًا .. فقط العميان ينصتون باهتمام أكثر لما يسمعون ..

لم تكن مرتبطة بعلاقات مع رجال .. هناك واحد معجب بها اسمه رالف ماندى لكنها لم ترده لنفسها قط .. لم ترد قط أن ترى رجلاً يعطف عليها أو يتألم من أجلها ..

وتساءلت إن كان دولارهايد يعتقد بالخرافة الأخرى التى تعتقد أن العميان (أنقى من المبصرين) .. هذا أيضًا خال من الحقيقة تمامًا ..

* * *



الفصـل الثـامن عشر

كانت العائلات فى شيكاغو مذعـورة ، فلم يبـق على الموعد سوى 11 يومًا ..

راجت أفلام الرعب التى كانت ستفشل فى ظروف أخرى ، وفى الوقت ذاته انتشرت قمصان للشباب عليها (ليلة مع التنين الأحمر هى ليلة واحدة !) ..

فى الوقت ذاته شعرت زوجة (جراهام) بالرعب من الانتظار فى واشنطن ، لذا انتقلت مع ابنها إلى حيث يعيش جداه .. جراهام أخبر كراوفورد بهذا ، لكنه كان واثقًا من أن الأخير يعرف بالضبط أين هى ..

قال كراوفورد لجراهام وهو يراجع بعض التقارير:

ــ « ما زلت أبحث عن علاقة بين الضحايا .. خطر لى إن لاونديس مات على مقعد متحرك .. هنا إشارة طبية .. فالبرى ليدز أجرت استئصال حويصلة من ثديها قبل الجريمة بشهر ونصف .. إشارة طبية .. لذا أحاول معرفة إن كانت مسز جاكوبى قد أجرت جراحة قريبة » .

ــ « هل تفكر فى مسعف ؟ »

ــ « عندما تكون فى مصحة لفترة طويلة فأنت تتعلم أساليبهم .. يمكنك الظفر بعمل كمسعف قانونى فى مستشفى بعيد عن هذه المصحة .. »

كانت رائحــة الغرفة تفـوح باليأس .. ظــلال عميقة غمرت التجاعيد فى وجه جراهام وهو يحدق فى صور الضحايا ..

ألن يكون أفيد للقضية لو تركنا جراهام يرحل ؟.. ثم شعر كراوفورد بغريزته أن جراهام سيكون مفيدًا هنا أكثر ..

طلب رجــال شرطة شيكاغو تقـريرًا عــن الحــالة النفسية السلوكية للسفاح ، وذلك من الــ FBI قائلين إنه سيساعدهم فى توجيه رجالهم ليلة الجريمة القادمة ..

قال كراوفورد فى غيظ :

ــ « يحمون مؤخراتهم .. يطلبون منا تقريرًا فإذا ما ضرب القاتل وظفر بضحية أخرى ، قالوا لا تحاسبونا .. الخطأ خطأ رجال الــ FBI الذين أسدوا لنا نصائح خاطئة » .

لكن جراهام لم يكـن يعتقـد أن القاتل سيوجه ضربته فى شيكاغو بالضرورة .. صحيح أن كل شىء يدل على أنه يقيم فى شيكاغو لكن من الواضح أنه يفضل تنويع مكان عمله ..

* * *

جلس دولارهايد يراقب التلفزيون .. لقد أتم تمارينه الرياضية وشاهد بعض أفلامه الخاصة ، وشعر بالرضا عن نفسه لذا فتح التلفزيون ليعرف تطورات مقتل الصحفى . رأى على الشاشة جراهام .. خطر له أنه نحيل جدًا .. من السهل تحطيم ظهره . بل لعل هذا أجمل .. أن تحطم ظهره وتتركه يقضى باقى حياته مشلولاً ..

ولاحظ فى رضا أن الإعلام كف عن تسميته (جنية الأسنان) وبدءوا يسمونه (التنين) .. هذا تقدم ممتاز .

كان يراقب جراحًا يجرى جراحة أسنان على نمر فى حديقة الحيوان المحلية .. تذكر ريبا وهى تقول إنها تريد أن تلمس وجهه . لو فعلت لشعرت بشىء من مجده الخاص ، لكن سيكون قتلها حتميًا وهو يريد لها أن تعيش .. لابد أن تعيش ..

كان البديل هـو أن يأخذها غدًا لتلمس النمر وهو مخدر فى الجزء التالى من الجراحة ..

كان قـد أسـدى خدمة إلى حديقـة الحيوان عندما أهداهم هـذا الفيلم الخـاص بالرؤية الليلية ، وهم على استعداد لتقديم أى خدمة له . لهذا اصطحبها بالفعل لترى النمر الذى خدره جراح الأسنان .. تحسست وجهه وفمه وهو نائم ..

كان هذا أقوى من تحملها .. وشعرت أنها مدينة لدولارهايد للأبد ..

وفى هذه الليلة اصطحبها لداره كما طلبت هى ..

طلب منها أن تسمح له لدقائق . دخل المطبخ وراح يرتجف .. ما هذا الذى يفعله ؟.. قبل أن يتحول كان هذا من رابع المستحيلات .. أما اليوم فهو قادر .. قادر ..

كان يشعر برغبة جنونية فى عمل شىء لكنه لا يعرف ما هو .

عاد لها وساعدها على الترجل واقتادها داخل البيت .. أدركت على الفور أن البيت كبير جدًا وأدركت أنه قديم كذلك .. رائحة الهواء تشبه رائحة هواء المتاحف .



جلست على أريكة وقالت له :

ـ « بيتك جميل .. وذلك النمر الرائع .. أنت مفعم بالمفاجآت بينما لا أحد يعرفك فعلاً » .

قال وهو يضغط على الحروف حتى لا تظهر عيوب النطق :

ـ « ومن قال لك هذا ؟ »

ـ « الكل فضولى بصددك .. »

ـ « وماذا يريدون معرفته ؟ »

ـ « يقولون إنك غامض .. النسـاء رأيننى أركـب سيارتك الفان فاشتعل فضولهن .. هلم .. هذه مجاملة .. »

ـ « وهل قالوا كيف أبدو ؟ »

ـ « نعم . هل تريد سماع ذلك ؟.. متأكد ؟ »

لكنه لم يطلب .

لاحظت الصمت فقالت بجدية تامة:

ـ « يقولون إنك حساس .. وإنك توحى بالأناقة ، وإن لك جسـداً رائعًا وإنك حساس بصدد وجهك برغم أن هذا غير صحيح .. »

طلبت الذهاب للحمام .. شعر بتوتر .. لا يجب أن يسمح لها بالتنقل فى البيت بحرية ، فلربما قابلها التنين .. من السهل أن يفتك بها التنين ويمزقها . فلما عادت سمعت صوت جهاز عرض سينمائى يعمل . قال لها دولارهايد:

ـ « آسف .. لدى واجب منزلى سأفرغ منه حالاً .. سأعرض بعض الأفلام » .

ـ « هل هناك صوت ؟ »

ـ « للأسف لا .. »

تمددت على الأريكة وطلبت منه أن يأخذ راحته .. سوف تغفو قليلاً ..

كان قد فكر أولاً فى أن يرى فيلمى ليدز أو جاكوبى والفتاة معه .. لكنها لن تنجو من ذلك .. غالبًا سوف يقتلها . لن يفعل هذا .. إذن ليشاهد فيلم آل شيرمان .

جلس يشاهد الفيلم .. وبدأ يلفظ عبارات كالتى قالها لمسز ليدز فى أطلنطا :

أنت ترينني ... نعم .. هذا هو شعور من يراني ..



ريبا على الأريكة تشرب المارتينى من الكأس .. ريبا تريح رأسها على فخذ دولارهايد ..

أنت تشعرين بى ... نعم .. هذا هو شعور من يشعر بى ..

يجب أن يبعد يديه عن عنق ريبا .. لا يجب أن يخنقها بأى ثمن .. الكل رأوها تركب سيارته الفان ..

صوت قلبك عال ويدق الآن ..

قلبك يحاول الفرار ..

امرأة حيـــة معـــه .. إنه التنين .. لقـــد صـــار قويًا بشـــكل لا يوصف ..

دولارهايد القاتل اللعين لإحدى عشرة روحًا يصغى لنبضات قلبها ..

التنين ...

الفصـل التـاسـع عشـر

حتى وهو يوصلها لبيتها لم يكن يعرف ما يشعر به تجاهها .. إنه يرتاح لها . يخافها ..

حادث قبيح وقـــع وجعله يتبين أمـــوره نوعًا . عندما مر بالتقاطع 70 لمخرج لندبرج توقف ليضع بعض الوقود فى سيارته . كان العامل رجلاً قوى العضلات مكفهر الوجه . تفقد الزيت ثم بدأ فى تلميع الزجاج . لاحـــظ دولارهايد أنه يرمق ريبا فى وقاحة ، من ثم حرك المساحات بسرعة لتضرب أنامل العامل ..

قال العامل وقد أدرك أنه ضبط وهو يختلس النظر:

ــ « خذ الحذر يا أحمق » .

ودنا من دولارهايد .. كان يماثله طولاً لكن ليس فى العضلات . بضربة واحدة أبعده دولارهايد وأسقطه ليضرب العربة . وهنا رأى العامل فى وجه دولارهايد شيئًا لم يره من قبل ولم يره فى أى مكان .

قال الرجل فى رعب :

ـ « لم أتعمد أى إساءة .. أقسم بالله » .

أمســك دولارهايد بأنبــوب الزيت فى وجــه الرجل .. تمنى لو يغرسه فى قلبه مباشرة لكنه بدلاً من هــذا ثناه إلى نصفين . ثم دسه فى سروال الرجل وقال :

ـ « أبق نظراتك القذرة لنفسك .. »

وحشر المال فى جيب الرجل ، ثم قال :

ـ « الآن ابتعد لكن تذكر أن بوسعى أن أجدك فى أى وقت » .

* * *

وصل الشريط إلى جراهام فى واشنطن ، ومعه مذكرة من المختبر الجنائى تقول : تحليل الصوت برهن على أن هذا هو لاوندس فعلاً . من الواضح أنه كان يقول ما يملى عليه . شريط جديد لم يستعمل من قبل

كان فى المحكمة فى ذلك الوقت ، فى غرفة المحلفين . كانت العاملة تنظف المكان والغبار يسبح فى ضوء الشمس ، فبحث عن جهاز كاسيت ودس الشريط فيه وراح يصغى :

كان صوت فريدى لاوندس المتعب الخائف يتكلم . لقد نلت مجدًا لا شك فيه .. لقــد رأيت قوة التنين الأحمر .. لقد كذبت بصدده .. كل ما كتبت كان أكاذيب .. ويل جراهام جعلنى أكتبها . لقد كفرت بالتنين لكنه رحمنى .. الآن يجب أن أخدمه .. لقد ساعدنى على الفهم . على الصحف عندما تكتب عنه أن تقدسه وأن تتكلم عنه مضخمة لفظة (هو) HIM بدلاً من الحروف الصغيرة ..

سوف يكون رحيمًا معى أكثر منك يا جراهام فهو يعرف أنك جعلتنى أكذب .. مد يدك للخلف يا جراهام وتحسس البروزات فوق الحوض .. هذا هو عمودك الفقرى حيث سوف ينتزعه التنين .

قال جراهام لنفسه : فليذهب للجحيم .. لن أتحسس ..

ثم جاءت الصرخة الشنيعة : لا اا .. أيها الوغد اللعين أنت أقسمت ! ..

فتح جراهام فمه وتنفس بعمق .. لن يتحمل سماع هذا مرة أخرى ,,

هنا جاء موظف المحكمة ليحمل له خطابًا .. ونظر لشريط الكاسيت فى دهشة ، أخذ جراهام الخطاب وهو يتمنى أن يكون من مولى ..

لكن الخطاب كان من هانيبال لكتر :

عزيزى ويل :

أهنئك على ما قمت به مع مستر لاوندز . احترمت ما فعلت . أنت ولد خبيث !

لقد استفزنى مستر لاوندس كثيرًا لكنه أفادنى بمعلومة لم يخبرنى بها محامى عديم النفع؛ هى أنك كنت فى المصحة العقلية بدورك . لماذا نحارب طبائعنا يا ويل ؟.. هذه أشياء خلقنا بها مثل رئاتنا وبنكرياسنا .. اعترف لنفسك بأنك أحببت قتل مستر هوبس واستمتعت بذلك .

مع تحياتي

هانيبال لكتر ـ دكتوراه فى الطب

الفصل العشرون

كان دولارهايد يقود سيارته دامع العينين ..

خلال ستة أيام سـوف يقتـل ريبا ماكلين .. التنين يريد هذا والتنين قد صار سلطة أكبر منه بكثير .. ما يريده التنين يتحقق .. التنين لا يقبل الأعذار ولا يسمح له بأن يقع فى الحب ..

بعد قتلها سوف يقتل آل شيرمان .. ربما يفضل التنين أن يبدأ بهم ويقتل ريبا بعد ذلك ، لكنه كان يعرف أن هذا مستحيل ..

لم تكن ريبا تعرف أى شىء عن التنين . كانت تحسب نفسها مع دولارهايد . لقد مالت له .. هذا شىء مقزز وقد احتقرها لهذا السبب .. لكن برغم هذا كان شعورًا رائعًا ..

ركب سيارته إلى حيث موتيل صغير .. كان هذا صباح الاثنين لكنه لم يرغب فى الذهاب للعمل . طلبهم وقال إنه مريض . ثم رقد فى الفراش شاعرًا بالرعب ..

سوف يحاول أن يبقيها بعيدة عن التنين .. لكن إلى متى ؟.. كم من الوقت يمكنه أن يبقيها بعيدة ؟.. التنين هناك ينتظر فى

كل اللوحات وكل الكتب المصورة .. سوف تأتى للبيت باحثة عن دولارهايد فلا تجده .. تصعد للطابق العلوى وهنا تجد نفسها بين أنياب التنين . ليس بوسعها عمل شىء سوى أن تتمنى أن تموت بسرعة ..

يمكنه سماع صوت التنين .. يمكنه سماعه وهو يشتم ريبا . بالتأكيد سيشتمها قبل أن يقتلها ويشتم دولارهايد .

أنا لم أرقط طفلاً قذراً مثلك ..

همس دولارهايد :

ـ « أرجوك لا تفعل هذا ... » .

علق حزامه فى الحمام وصنع أنشوطة .. سوف يتدلى منها لبعض لحظات إلى أن يصير أضعف من أن يقاوم أكثر ويموت .. ولكن كيف يعرف أن التنين سيموت معه ؟.. كل شىء يدل على أنه والتنين شخصان منفصلان ..

فى النهاية اتخذ قراره ..

غادر الفندق وركب سيارته الفان .. مر بحشد من طلبة المدارس فنفخ أحدهم صدره وكور عضلاته ليقلده . بعد وقت ليس بالطويل كان دولارهايد قد صار عند بيت جدته من جديد ..

دخل البيت فسمع صوت التنين يهدر :

ماذا تفعله ؟.. ماذا تفعله ؟

أنا لم أرقط طفلاً قذراً مثلك ..

جاءت مكالمة من ريبا فتجاهل التنين وحاول أن ينصت لها وهى تطمئن على صحته . قالت إنها اتصلت به فى الشركة فقيل لها إنه مريض .. كانت قلقة فعلاً ..

قل لها أن تأتى الليلة لتعنى بك

سد دولارهايد سماعة الهاتف قبل أن تسمع هذا الكلام . وراح يعتذر لها مؤكدًا أن هناك تداخلاً مع المذياع ، ثم وضع السماعة سريعًا وعبث فى الدرج حتى أخرج بعض الأشياء وانطلق يركض مغادرًا البيت ..

وبعد قليل كان فى المطار ..

وسرعان ما كان فى طريقه إلى نيويورك ..

* * *

لم يكن قد رأى متحف بروكلين قط برغم أنه قرأ الدليل الخاص به . كان قد اهتم به منذ رأى صورة (التنين الأحمر والمرأة التى تتدثر بالشمس) . كان مبنى ضخمًا جديرًا فعلاً بأن يسكنه التنين الأحمر ..

يشم رائحة الجو ممزوجة برائحة الصبغة التى وضعها على شاربه .. لقد بقيت ساعة على موعد الإغلاق ، لذا عبر الشارع ودخل حيث أخذ موظف الأمن حقيبته . وعرف أن المتحف سيكون مغلقًا غدًا .

مشى وسط التحف الخزفية الخاصة بالانديز والأسلحة البدائية والأقنعة الهندية . بسرعة عرف المخارج وأماكن المصاعد . أخذ المصعد للطابق الخامس وقد بدأ يشعر باقتراب التنين الأحمر .. لقد شعر به ..

كانت اللوحة معروضة فى مكان مظلم منذ كانت فى متحف تيت فى لندن ، والسبب أنها بألوان الماء وعمرها مائتا عام . ورأى خزانة مغلقة فعرف أن اللوحة هناك .. ليست رسمًا ولا صورة .. إنه التنين نفسه ..

كان الحراس رجالاً فى منتصف العمر ومهذبين .. والأهم لم يكن أحدهم مسلحًا .

انتهت ساعات العرض فغادر الناس المتحف .. وامتلأت الطرقات بالمتجهين لركوب مترو الأنفاق . استقل سيارة أجرة وأعطى السائق عنوان متجر معين .

إن المتحف يغلق أمام الجمهور يوم الثلاثاء ، لكنهم يسمحون بالدخول لطلاب الفنون ، والمتحف مكان ممتاز للجادين فى دراسة الفنون . إن العاملين هناك ودودون ويعرفون مهنتهم جيدًا . فى الثانية بعد ظهر الثلاثاء خرج دولارهايد من محطة الكترو ومعه أوراق وملف وكتاب كبير عن بليك .. وكان معه مسدس ومديته ذات حد الموسى . وفى جيب المعطف كانت قطعة قماش مغموسة بالكلوروفورم وموضوعة فى كيس بلاستيكى .

دخل المتحف مع أربعة من طلاب الفنون .. وسأله البواب إن كان لديه موعد فقال : دراسة الرسم .. مس هاربر . أجرى البواب مكالمة ثم طلب منه أن يتوجه لنهاية صالة الاستقبال حيث مقعد جوار المصاعد .. هناك سوف تقابله مس هاربر .

كان قد اتصل بها من قبل ، وبدت له امرأة بارعة الجمال عندما نزلت له .

ـ « أنت طلبت رؤية لوحات بليك المائية ... تعال معى لنراها » .

صعدا للطابق الخامس . كان يشعر بتنميل حقيقى لكنه قرر أن يتماسك .. وفجأة مر أمام لوحة لجورج واشنطن .. هنا وجد نفسه يرتجف وشحب وانهمر العرق الغزير منه .. هذا ليس واشنطن .. إنه يشبه جدته تمامًا .. جدتى هنا . أنت تريدين تشريحى يا جدتى .. أليس كذلك ؟

قالت له مس هاربر:

ـ « لحظة وسوف أجلب لك الرسم » .

عندما عادت أصابه الذهول .. كان يتخيل الصورة عملاقة وثقيلة جدًا ...

ـ « أنا آسفة .. إنها بألوان الماء وهشة جدًا لذا لا نعرضها .. من المفروض ألا تلمسها وإنما أنا سأمسكها لك .. »

كان ينظر للصورة غير مصدق .. إنها أجمل من أى لقطة رآها من قبل . لون شعر المرأة هو نفس لون شعر ريبا ماكلين . هنا جاء من يطلب مس هاربر لأن أمها اتصلت بها .. فقالت إنها ستتصل بأمها حالاً . كانت تراقبه فى حذر لتعرف ما يفعله باللوحة . نظر للخلف وهتف فى ذعر أنه رأى فأرًا عملاقًا ينسل هناك ..

صاحت مس هاربر:

ـ « أين ؟ »

هنا هوى على مؤخرة رأسها بقبضة يده ثم أخرج قماش الكلوروفورم ووضعه على أنفها .. جرها بين المنضدة وكومة الرسوم . هنا جاءت المرأة الأخرى من جديد لتكرر أن أم هاربر تريدها .. فوجئت بالمشهد .. باولا على الأرض فاقدة الوعى وشعرها يغطى وجهها ، بينما دولارهايد راكع جوارها يلتهم آخر قضمة من لوحة صورة (التنين الأحمر والمرأة التى تتدثر بالشمس) .

صرخت وهرعت لمكتبها وأغلقت الباب ، وراحت تحاول طلب رقم .. وجدته مشغولاً . لم يستغرق الأمر وقتًا لأن الضربة خلف

أذنها جعلتها تفقـد الوعي ، وسرعــان ما كان المصعد يهبط للطابق السفلى . ضل طريقه مرتين وهو يجد السير . ثم عرف أين هو عندما رأى الأسلحة البدائية المعلقة ..

تحسس مسدسه وهو يقترب من الحراس .. مر بأحدهم فقال وهو يلوح ببطاقة الدخول :

ــ « شكرًا » .

كان الهاتف يدق .. لذا خف السير بسرعة قبل أن يمسك الحــارس السماعة . أخيــرًا خرج للحديقة متوترًا وكان على استعداد لإطلاق الرصاص لو أن أحدًا حاول أن يستوقفه .. أخيرًا فتح الحقيبة وأخفى فيها السلاح وكل الثياب التى كانت عليه ، ليبدو كمجرد طالب جامعى يتنزه .

وبينما كــان يتظاهر بأنه يمارس رياضة الجرى مرت به أول سيارة شرطة وسرينتها تزعق ..

الفصل الحادى العشرون

من جديد أعاد جراهام مشاهدة الفيلمين الخاصين بآل ليدز وآل جاكوبى .. القط .. الكلب .. الباب الجانبى .. الأطفال ..

هنا خطر له خاطر غريب .. كل شىء يعرفه القاتل عن الأسرتين .. كل شىء .. موجود على هذين الفيلمين ، وهما لم يعرضا فى مهرجان سينمائى أو فى ناد للسينما ..

تفحص الصندوق الذى غلــف به فيلم آل ليدز .. (مختبرات جيتواى ــ 63102) .. سانت لويس .. ماذا عن سانت لويس ؟.. عندما كان يحقق فى موت لاوندس عرف أن سانت لويس من الأماكن القليلة التى تطرح فيها نسخ جريدة تاتلر ليلاً . ضغط على جانبى رأسه ليمنع الفكرة من الفرار ..

أجرى بعض مكالمات وسرعان ما كانت آلة الــ FBI العملاقة تهدر باحثة عن المكان الذى كان آل جاكوبيس يحمضون فيه الأفلام .. اسمه جيتواى ....

* * *

فى الطائرة عــرف كراوفورد أن جنيــة الأســنان كانت فى نيويورك .. القــاتل ضرب أمينتى متحف على الرأس وأكل لوحة التنين الأحمر .. نعم . أكلها !..

هناك بصــمات على الكيس البلاستيكى .. لكنهــم لا يعرفون صاحبها ، إلا أنها نفس البصــمات التى وجدوها عنــد آل ليدز وعلى علبة المياه الغازية .

ــ « هل بوسع المرأتين وصفه ؟ »

قال كراوفورد :

ــ « الصغرى استطاعت وصفه .. الكبرى تعانى ارتجاج مخ . رجل هادئ .. مبحوح الصوت .. شارب أسود .. نفس ما قاله رجل الأمن » .

ــ « وما رأى د . بلوم فى مختبر علم النفس السلوكى ؟ »

ــ « قال إنه يعتقد أن جنية الأسنان تحاول أن تتوقف » .

* * *

لم يعــد يخــاف المنزل .. إن التنين فى بطنه الآن .. يمكنه أن يتأمل الصــور المعلقــة بلا خــوف . لا داعى للخوف على

ريبا الآن .. لو أحس بميول عدوانية فإن بوسعه التخلص من آل شيرمان ثم العودة لريبا طاهرًا هادئًا ..

لكن عندما مر بسيارته ليلاً قرب شركة بيدر أصابه الذعر ..

ما هذا ؟

لقد رأى السكرتيرة التى يعرفها جيدًا تدق الباب .. ومن الداخل ظهر وجه يعرفه جيدًا .. وجه جراهام ..

ابتعد وقلبه يدق .. كان بحاجة للتفكير لكنه بالفعل عاجز عنه ..

لقد وجده جراهام فكيف فعل هذا ؟

كان هذا سهلاً .. لقد شك فى الأفلام طبعًا وهذا يعنى أنه ليس أحمق .. لكن كيف سيبحث أكثر من ذلك ؟.. هناك الإجازات .. سيبحث عمن طلب إجازة من العمل قبل الجريمتين السابقتين .. لكن قد يكون هذا صعبًا . هناك البصمات على الكيس الذى تركه فى متحف بروكلين ..

لو أجروا مسح بصــمات على جميع العاملين فى الشركتين لأمكنهم أن ..

جراهام يعرف .. جراهام يعرف أن هناك سيارة فان كذلك .. يعرف لأنه يعرف .. يعرف لأنه وحش ..

لن يكـــون أمامه ســـوى أن يركض منهم .. يركض كأرنب مذعور ..

هل أنت نادم لأنك أغضبتنى ؟

جاء صوت التنين من أعماقه ..

أعطنى ما أريد ولسوف أنقذك

أنت تعرف أنهم سيرسلونك لمكان أسوأ من الميتم الذى كنت فيه ..

يمكننى أن أنقذك .. تعرف أننى فى داخلك وتشعر بى ..

قال فى جزع :

– « لا ! » .

لكن الصوت استمر :

– « أنت تعرف .. سوف يسجنونك وسوف تمرح هى مع رجال أجمل منك . لو كنت تريد أن تحتفظ بها وأن تستعيد قدرتك على الكلام فلتقف قرب محطة البنزين تلك وأصغ لى .. »

الفصل الثانى والعشرون

فى داخل الشركة كان العمل يجرى محمومًا .. كان كراوفورد وجراهام يفحصان كل شىء ، كما قاما بعرض صور العاملين فى الشركة على أمينة متحف بروكلين . كان جراهام يعرف أنه لابد من أن يخفوا آثار كل شىء فى الصباح قبل قدوم الموظفين .. لو عرف التنين بالأمر لفر سريعًا .

كذلك أعدا قائمة بالرجال الذين يتراوح عمرهم بين 20 إلى 50 والذين يملكون سيارات فان .. وهكذا صار هناك 26 اسمًا ..

* * *

فى الوقت ذاته كانت ريبا مع رالف ماندى . كانت قد طلبت منه أن يصحبها للعشاء بسيارته ، وفى الطريق قالت له ما يتوقع سماعه .. لقد كانت صداقته ممتازة لكنها تحب شخصًا آخر .. لابد أن هذا آلمه لكنه سيكون أرحم له وأفضل ، وعلى باب شقتها بعد العشاء لم يطلب الدخول ,, فتح لها الباب ثم ناولها مفاتيحها ولم يتكلم .

ابتعد عن البيت ..

هنا أطلق عليه دولارهايد طلقتين فى حلقه وصدره .. من المسدس الصامت ..

رفع الجثة بسهولة وأخفاها بين الشجيرات ..

كان التنين هو الذى يقوم بهذا كله ، وكان ممثلاً ممتازًا فعلاً .. كان يجيد التظاهر بأنه دولارهايد ..

كانت ريبا تغسل وجهها فى الحمام عندما دق الجرس .. ذهبت لتفتح وتركت السلسلة فى مكانها:

ـ « من ؟ »

ـ « أنا فرنسيس دولارهايد » .

نزعت السلسلة وقالت:

ـ «كنت أحسبك ستتصل بى أولاً .. »

ـ « كانت حالة طوارئ » .

ووضع قطعة القماش الملوثة بالكلوروفورم تحت أنفها ..

كان الشارع خاليًا فحملها للعربة الفان .. ورأى أقدام رالف ماندى ظاهرة من موضعه بين الأشجار .

أفاقت أثناء الرحلة فوجدت أن خدها على أرضية العربة .. حاولت أن تتحسس وجهها لكنها أدركت أن ساعديها ملتصقان . إنها مربوطة .. وكذا رجلاها .. وأدركت أنها مكممة ..

ماذا حدث ؟.. لا تذكر سوى أن دولارهايد كان على الباب .. ثم .. قوته الكاسحة .. شعرت بذعر رهيب ..

هنا سمعت صوته يقول :

ـ « لن تطول المسافة .. »

لابد أنه مجنون .. كونى سلبية جدًا .. عديه بأن بوسعه التراجع وأنت لن تبلغى عنه ..

توقفت السيارة .. سمعت صوت الجنادب وشمت رائحة الإطارات الساخنة .. وبرغمها صرخت وأشاحت عنه عندما شعرت بلمسته . حاولت الصراخ من تحت الكمامة .

الآن هى تعرف أنها فى داره .. صوت المنبه .. تميز الفراش .. ثم سمعت صوت علب معدنية .. على الأرض .. شمت رائحة الجازولين ..

ـ « ريبا .. أنت لا تفهمين .. كنت رائعة ثم آذيتنى بقسوة بعد ذلك .. والآن سأفك سراحك .. لا تحاولى الفرار لأنى سأمسكك .. »

شعرت بالمعدن البارد ثم تحرر ذراعاها ..

قالت محاولة أن تقول أفضل شيء ممكن :

ـ « مستحيل أن يكون رالف ماندى هو السبب .. لابد أنه السبب .. كان لقائى به كى أخبره أننى لا أريده أبدًا وأننى أحب شخصًا آخر . أنا لن أرى رالف ثانية » .

قال دولارهايد:

ـ « رالف مات .. »

ثم أضاف:

ـ « سوف تسمعين شيئًا بالغ الأهمية .. له ذات أهمية موعظة الجبل والوصايا العشر .. هناك قوم ماتوا فى أطلنطا وبرمنجنهام .. هل تعرفين من فعل هذا ؟ »

قالت وقد تذكرت :

ـ « جنية الـ ... » .

لكنه أخرسها على الفور ...

ـ « بل التنين الأحمر .. أنا هو .. التنين كان يريدك لكننى حاولت منعه » .

صرخت وقد فهمت الموقف :

ـ « أرجوك لا تدعه يظفر بى .. أنا لك .. لا تجعله يأخذنى منك .. »

كانت تذكر مكان الباب .. وهكذا اندفعت راكضة خارجة من الغرفة ، ثم فتحت باب البيت وراحت تجرى فى الهواء الطلق .. تسمع صوت شاحنة قريبة وتتعثر فى الأرض .. تنهض .. تلتقط بعض الحجارة وتقذفها باتجاه الصوت ..

ثم هوت ضربة عليها فسقطت على الأرض ، وشعرت بأن العالم يظلم من حولها ..

* * *

جاءت الأنباء لرجال الشرطة .. هناك جثة لرجل يدعى رالف ماندى ، وجدها رجال الشرطة فى حديقة من تدعى مس ريبا

ماكلين .. كفيفة تعمل فى الغرفة المظلمة فى مختبر بيدر . من الغريب أنها اختفت .. آخر مرة شاهدتها إحدى النساء تركب سيارة مستر دولارهايد الفان .

ريما هى صدفة ؟

* * *

عندما فتحت ريبا عينيها كان دولارهايد يراقبها .. قال لها وهو يبكي:

ــ « انتهى الأمر بالنسبة لى .. لا أستطيع تركك له .. أنت تعرفين ما سيفعل بك .. سوف يعضك بأسنانه حتى الموت .. من الأفضل أن ترحلى معي » .

سمعت صوت الثقاب وشمت الكبريت .. هناك حرارة .. هناك دخان .. أشد ما تخشاه فى الكون .. النار ..

كانت هناك هذه المرة فوهة مسدس ملتصقة برأسها . وتمنت أن تقتلها الرصاصة قبل أن تصل لها النار ..

ــ « آه .. يا ريبا .. لا أحتمل أن أراك تحترقين ! » .

ثم دوى الرصاص من المسدس .. شعرت بتنميل فى أذنيها وحسبت أنها قتلت .

لكنها ظلت تسمع وتشم النار .. وقفت تترنح ..

كانوا قد علموها أن تنحنى عند حدوث حريق .. لا تركضى وإلا اصطدمت بأشياء وسقطت . راحت تزحف على يديها .. شعرت بساق .. ثم لمست يدها شعرًا .. ثم شعرت بعظام حادة وعين مخلوعة ..

هناك حول العنق مفتاح .. هذا مؤكد ...

انتزعت المفتاح ونهضت .. حاولت أن تسمع وأن تشعر بعيدًا عن قعقعة النيران .. الساعة تدق فى غرفة المعيشة ..

احترق حلقها من الدخان .. الباب هنا .. تحت المقبض ..

افتحى القفل .. هواء ... هواء ..

تهاوت على العشب وزحفت على يديها وركبتيها ..

نهضت وصفقت لتعرف من أين يأتى صدى البيت .. ثم راحت تزحف مبتعدة عنه .

الفصــل الثالث والعشرون

كان العثور على بيت فرانسيس دولارهايد صعبًا . إن العنوان المذكور فى شركة جيتواى هو عنوان صندوق بريد . وكان على شرطة سانت لويس أن تجد العنوان بالاستعانة ببيانات شركة الكهرباء .

تحرك فريق من قوات السوات نحو العنوان ، وكان هناك نائب مأمور يجلس جوار جراهام فى المقعد الأمامي . فلما دنت السيارات من البيت الواقع فى شمال المدينة رأوا الوهج .

توتر جراهام بينما أمسك كراوفورد بالميكروفون وقال:

ــ « كل الوحدات .. بيت المشتبه فيه يحترق .. ربما يخرج فى أى لحظة . أيها الشريف .. نريد حاجز طريق هنا » .

هنا رأوا المرأة واقفة وخلفها النيران .. سمعوها ورأوها وهى تلوح بيديها .

ثم تعالت النيران لأعلى .. وتصاعدت أقواس لهب لسماء الليل . وانفجرت الفان وهى تنقلب على جانبها . وارتجت سيارات الشرطة من الانفجار .

جرى بعض رجال الشرطة نحو المرأة وتجاوزها البعض وهم يشهرون السلاح .

أمسك كراوفورد بها وراح ينفض اللهب عن شعرها .. وقال لها :

ــ « فرانسيس دولارهايد .. أين هو ؟ »

قالت وهى تشير إلى الحريق:

ــ « هو هناك .. إنه ميت » .

ــ « كيف تعرفين ؟ »

ــ « كنت معه .. لقد أشعل النار فى البيت ثم أطلق الرصاص على رأسه .. لقد كنت فى هذا كله » .

عاد كراوفورد لسيارة الشرطة بينما وقف جراهام يرقب اللهب حتى احمر وجهه والتهب . وراح الدخان يتصاعد أمام صفحة القمر ..

* * *



عرف رجال الشرطة أن الحريق تم بوساطة الجازولين ، على أنه كان هناك ديناميت انفجر فى النهاية ، وعرفوا أنهم سيجمعون أشلاء الفاعل فى كيس صغير ..

أما عن ريبا فقد تمكنت مــن النــوم فى الفندق بصعوبة وبوساطة مهدئ . وطلبت أن يظل الشرطى جوار فراشها ، وكانت تصحو كثيرًا لتبحث فى ذعر عن يده ..

عندما جاء جراهام يطلب مقابلتها سألت الشرطي:

ــ « هل تعرفه ؟ »

ولم يكن الشرطى فى حاجة لطلب أوراق جراهام فهو يعرفه جيدًا . ولمدة ساعة راحت تحكى كل شىء .. كان حلقها ملتهبًا وقد توقفت مرارًا لتشفط بعض الثلج المجروش .

فى النهاية قال جراهام :

ــ « أنت ساعدته .. لا شك فى أن حبه لك جعله يحجم عن قتــل بعض الأشخاص ونجا كثيــرون .. ســأعود لأراك بعــد يومين .. »

وغادر المكان فلوحت له بيدها ..

اتصل بمولى من مكتب الــ FBI فردت جدة ويلى على الهاتف .

ــ « كيف الحال يا ماما ؟.. أنا جراهام .. »

ــ « أنا سعيدة بأنه قتل نفسه .. هذا يوفر علينا الكثير من أموال الضرائب .. تقول إنه أبيض ؟ »

ــ « نعم . يبدو اسكندنافيًا .. هل لى أن أكلم مولى ؟ »

جاءت مولى وكانت فى الحديقة فردت على المكالمة .. كانت سعيدة جدًّا لسماع هذه الأنباء . وقالت:

ــ « أنا سعيدة لأنه لم تحدث مواجهة .. لم لا تأتى هنا بعض الوقت ؟ »

قال فى ضيق :

ــ « بالطبع لا .. إن جدى ويلى يحبانه ويودان لو عاش معهما وبالتأكيد هما يحبانك كذلك .. لكنهما لا يطيقاننى .. إننى أذكرهما بابنهما .. لذا لا أعتقد انهما سيرحبان بوجودى أبدًا » .

أنهى المكالمة فنظر إلى البيت المحترق الذى كان خبراء الحريق ما زالوا يعملون فيه ...

كان يتمنى لو يدخل .. يرى المكان الذى عاش فيه دولارهايد .. يعرف السبب الذى جعله هو التنين الأحمر ..

فى النهاية عدل عن الفكرة وابتعد .. ليس الآن ..

الفصل الرابع والعشرون

هبطت الطائرة ... ورأى جراهام مولى وويلى يقفان بانتظاره هناك فى ماراثون ..

عرض ويلى حمل الحقائب فناوله جراهام حقيبة اليد .. وانطلقوا إلى دارهم فى شوجارلوف كي ، ومولى تقود .. أخيرًا يسمع البحر ..

لم ير مولى أجمل من هذا فى حياته .. أدرك روعتها السماوية . وكان ويلى مهذبًا معه .. أكثر من اللازم .

جاء خطاب من كراوفورد فوضعته مولى ضمن البريد ولم تتكلم عنه . فيه كانت صورة لآل شيرمان تم طبعها من فيلم .. لم يحترق كل شىء ..

هؤلاء القوم كانوا على القائمة غالبًا .. إنهم فى أمان الآن .. بالتأكيد تحب أن تعرف هذا ..

عرض جراهام الصورة على مولى وقال :

ـ « هل ترين ؟؟؟ كان الأمر يستحق » .

كانت تطهو وجبات العشاء وكانوا يصطادون السمك دون توفيق كثير . وجاء اليوم الخامس .. آخر يوم قبل العودة للعمل . لم يكن يومًا موفقًا جدًا فى صيد السمك ، وقد حاول جراهام الكلام أكثر من مرة ثم آثر الصمت . الصبى مولى غير ودود .. وقد بدأ جراهام يتعب فعلاً من كونه غير محبوب ..

جاءت مولى من الكوخ حيث كانت تعد بعض الشطائر ، وقالت لجراهام:

ـ « كراوفـورد يريـدك على الهـاتف .. يقـول إن الأمـر عاجــل .. »

مشى نحو الهاتف .. عبر تحت مجموعة من الأشجار ، وهو يسمع صوت طنطنة مما جعله يخشى وجود حية ذات جرس . هنا خيل له أن يرى حذاء ذا عنق وأنه رأى شيئًا يلمع ..

وفى اللحظة التالية كان يحدق فى عينى فرانسيس دولارهايد !

رأى فوهة مسدس وسمع صـوت طلقة فركله جراهام فى الهواء على الفور ... طار المسدس إلى الأشجار . سقط جراهام على الأرض وألم غامض يحرق صدره .. هنا وثب دولارهايد فى الهـواء ثم هبـط على معدته بحذائيـه ثم انتزع سكينًا من ثيابه . هوت السكين على عين جراهام لكنه أدار رأسه فانغرست بعيـدًا ..

تحرك دولارهايد للأمام ورفع السكين ثانية ليغرسها فى رأس جراهام .

هنا دوى صوت ارتطام إذ هوت مولى على وجه دولارهايد بعصا الصيد فانغرس الشص فى وجهه . مد يده ينزع الشص فانحشرت كذلـك .. انتـزع هذين بصـعوبة وهـرع نحوها بالسكين ..

صرخت فى الصبى :

ـ « اركض يا صغير .. اركض ولا تنظر للخلف ! »

ركض ويلى الصغير مذعورًا .. وكانا يسمعان صوت الأغصان تتهشم من خلفهما . أغلقت الباب خلفها ثم راحت تبحث عن المسدس .. فى ذات اللحظة التى بلغ هو فيها البيت

كان المسدس فى يدها وكان هذا كافيًا .. عندما انفتح الباب بانفجار أطلقت رصاصة وأحدثت فتحة فى حجم جحر الفأر فى فخذه ، ثم طلقة أخرى فى وجهه .. جلس على الأرض فركضت نحوه وأطلقت رصاصتين على وجهه من جديد .. استند رأسه إلى الجدار ...

مزق ويلى ملاءة وهرع ليرى ويل . كانت قدماه ترتجفان وسقط على الأرض عدة مرات ..

جاءت سيارة الشريف والشرطة قبل أن تتصل بهم مولى .. كانت فى الحمام تغسل وجهها من الدم والعظام المتناثرة ..

رفع أحد رجال الشرطة السماعة الساقطة وكلم كراوفورد فى واشنطن .. وكان كراوفورد هو الذى سمع الطلقات وطلب الشرطة ..

قال الشرطي:

ـ « لا أعرف .. لقد أحضروه الآن .. »

ونظر من النافذة وقال :

ـ « لا يبدو الأمر مريحًا بالنسبة لي » .

الفصـل الخـامس والعشرون

عندما فتح ويل عينيه فى المستشفى رأى الساعة الموضوعة عند قدم الفراش . وأدرك أنها عناية مركزة ..

إنها الساعة الرابعة . لا يعرف معنى الساعة الرابعة ولا يهتم .. وعندما فتح عينيه ثانية قرأ أنها الثامنة .. نظر بجواره فرأى مولى ...

كان الألم فى جانب صدره وعنقه شنيعًا ..

عندما جاء كراوفورد أخيرًا لم يستطع الكلام ، فناوله هذا مفكرة وقلمًا .. كتب سؤاله عن مولى فكان رد كراوفورد:

ـ « مولى وويلى بخيـــر .. دولارهـــايد مات .. أعــدك أنه مات .. لقد فحصت البصمات بنفسي .. أنت بخير لولا الطعنة التى تلقيتهـــا فى وجهـــك .. اضطر الأطبـــاء لاستئصال طحالك لكـــن من الذى يريد طحـــالاً ؟.. برايس ترك طحـــاله فى بورما عـــام 1941 » .

ــ « وماذا عن الجسد المحترق الذى حسبناه هو ؟ »

ــ « لا نعرف .. غالبا هو شخص قتل قبل يوم اسمه أرنولد لانج . وجدوا سيارته وحدها فى ممفيس .. كل شىء يدعونا للشك فى أنه رآنا ونحن نحقق وعرف أننا وجدناه ، هكذا فرَّ سريعًا وقتل لانج هذا ثم حمل جثته .. قتل رالف ماندى ثم اختطف ريبا وجعلها تعيش مسرحية اعتقدت معها أنه مات .. ثم شب الحريق .. أعتقد أنه راقب ريبا جيدًا فلو كانت تعثرت أو فقدت الوعى لحملها خارج البيت حملاً » .

كان يريد استكمال الكلام لكن الممرضة جاءت وطردته من الغرفة طردًا لانتهاء وقت الزيارة ، وكان يحاول أن يستجمع خيوط كلامه ..

وصل خطاب من د . هانيبال لكتر يهنئ جراهام بالشفاء .. ويقول إنهم أخذوا كتبه كلها من المصحة ، وهذا يدل على تخلف المجتمـع ... المجتمـع الصحيح إما أن يعـدم أمثـال هانيبال أو يسـمحوا له بالكتـب .. يتمنى له كذلك ألا يصـير قبيحًا بعد ما أصاب وجهه ..

لم يتردد كراوفورد كثيرًا قبل أن يحرق الخطاب ..

فيما بعد أكمل الكلام فأخبر جراهام أن دولارهايد كان يستعمل طاقم أسنان جدته المصنوع من الفولكانيت .. لا أحد يستعمل الفولكانيت اليوم لكنهم يستعملون الأكريليك .

جاءت الممرضة وحقنت جراهام فى الخط الوريدى بمادة ديميرول .. راح يذوب بين الحلم والذكرى ...

كان هناك فى ذلك الربيع بعد ما قتل جاكوب هوبس عندما زار مدينة شيلوه(*) .

كان يومًا من أيام إبريل وهو يمشى فى الطريق الأسفلتي .. وكان العشب ناميًا نضرًا .. جراهام كان يعرف ما حدث هنا فى إبريل 1862 ..

جلس على العشب يراقب الطريق عندما مرت به عربة مسرعة .. أدرك أن العربة هشمت ظهر ثعبان يعبر الطريق . راح الثعبان ينحدر عبر الطريق فى عدد لا ينتهى من أرقام 8 ..



(*) موقع معركة دموية جدًا فى الحرب الأهلية الأمريكية .

نهض جراهام من على العشب .. التقط الثعبان من ذيله الناعم وفرقع به كأنه سوط .. ثم ألقى به فى البركة .

خطر له أن سحر شيلوه هذا لا يخلو من شر .. لكنه الآن وهو يترجح بين الحلم واليقظة يدرك أن شيلوه لم تكن شريرة .. كانت لا مبالية وتتحمل رؤية أى شىء .

إنها الآلة الخضراء حيث لا رحمة .. نحن نصنع الرحمة فى أجزاء من عقولنا .. نحن نملك كل العناصر اللازمة لعمل الرحمة وعمل القتل كذلك ..

هل الرغبات الشريرة القديمة لدينا مهمة كأنها الفيروس الذى يصنعون منه اللقاح ؟..

شيلوه ليست مسكونة . الناس هم المسكونون ..

أنا وهبت حياتى كلها من أجل أن أعرف الجنون والحماقة ..

توماس هاريس

1981

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

75

التنين الأحمر

عندما تقع جرائم شنيعة متفرقة تدل على وجود سفاح (سايكوباث) حقيقى عديم الرحمة، وعندما يعجز رجال الشرطة عن القبض على الفاعل تمامًا؛ فإنهم يستعينون بالقاعدة القديمة التى تقول: لا يفل الحديد إلا الحديد، أو: أنت تحتاج للص كى تمسك بلص.

إن لديهم فى السجن سفاحًا مرعبًا شديد الذكاء والخطر .. إنه سفاح وآكل لحوم بشر، حاصل على الدكتوراه فى الطب النفسى. هكذا يقرر المفتش جراهام أن يستعين بخبرات كابوس شنيع آخر؛ هو الدكتور (هانيبال لكتر) .....

العدد القادم

الأفق المفقود

الثمن فى مصر 500

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



